مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

المحور ٢ - البحث ٥

الجذور التاريخية للتكفير
المعتزلة نموذجا
دراسة تاريخية ١٩٨–٢٤٧هـ/٨١٣–٨٦١م

د. فتحي يوسف الشواورة

أستاذ مساعد في فلسفة التاريخ والحضارة الإسلامية

جامعة الملك فيصل –كلية الآداب

قسم الدراسات الاجتماعية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الواحد الأحد، الفرد الصمد، المتنزه عن الصاحبة والشريك والولد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، شهادة تقطع بها الظنون والأوهام، صلاة وسلاماً عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله وكل ضلالة في النار.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ،يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيما ﴾ (٧١) سورة الأحزاب.

لقد عانت الأمة من الفكر التكفيري الذي زلزل المجتمع منذ العصور الإسلامية المبكرة، حتى إن دارس التاريخ الإسلامي يجد فيه ما يأخذ الألباب إلى منعطف من الذعر والفزع، عندما يقف على مشاهد القتل وسفك الدماء تعرض لها صحابة وخلفاء وغيرهم من العلماء، بحجة الدين، لأن نظريات التكفير اجتذبت في أول عهدها عددًا من الناس، حين غرر بهم باسم الدين، باعتبارها مذاهبَ تحمل طابع العقيدة، فباسم الدين طعن في مقدساتنا وأئمتنا وعقيدتنا.

وقد تناول هذا البحث جذور هذه الظاهرة من الناحية التاريخية من خلال البحث في إحدى الفرق الإسلامية وهي فرقة المعتزلة التي اتهم معتنقوها ومنظروها الخلفاء والصحابة بالفاحشة والفسق، واتهموا علماء الأمة من الفقهاء والمحدثين بالجهل والضلال أحياناً، واتهموهم أحيانا بالكفر فنكلوا ببعضهم وقتلوا بعضهم.

وقد اخترت هذا البحث بسبب قلة الدراسات التي تناولت جانب الجذور التاريخية لهذه الآفة، فأكثر الباحثين جزاهم الله خيرا تناولوا التكفير من

الجانب العقدي، وأقاموا الحجة البينة على التكفيريين، ولكن قليل من الباحثين – في حدود علمي – من تناول آفة التكفير من الناحية التاريخية، وجل من تناول التكفير تاريخيا بحث في فرقة الخوارج، متوهمين أنها هي وحدها التي تبنت التكفير، حتى وصل الأمر عند بعض الباحثين إلى اعتبار فرقة المعتزلة المارقة هي فرقة عقلية مستنيرة نادت بحرية العقل، وإطلاق العنان إلى التفكير دون ضوابط وروابط –متجاوزين كل الخطوط الحمراء فتناولوا الغيبيات والمقدسات الإسلامية بلا وجل أو خوف من الله تعالى–، جاهلين أو متناسين ما عانته الأمة وعلى رأسهم العلماء من ويلات الظلم والاضطهاد والاتهام بالجهل والكفر أحيانا على أيدي رجال المعتزلة.

وقد قسم الباحث هذه الدراسة إلى عشرة موضوعات كما هو موضح في فهرس المحتويات تركزت في مجملها على دراسة التطبيق العملي لفكر المعتزلة في العصر العباسي، وقام الباحث بنقد عقدي وفكري لمذهب المعتزلة وبيان العقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة للرد على شبهات المعتزلة التي خالفت الشرع.

وفي نهاية هذا الموجز لا يدعي الباحث جمْع بحثه لكل أطراف البحث، ولكنها محاولة وجهد مقل، وفي المنتهى أردد قول الله لرسوله في تبصير عباده حين قال: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً ﴾[1].

وجزاكم الله خيرا وجعلكم حراسا للعقيدة وحماة للإسلام، وحصنا لثقافة الأمة.

وصلي اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الإسراء: آية ٥٣.

التطور التاريخي للمعتزلة:

المعتزلة هم إحدى الفرق الإسلامية التي ظهرت مع بداية القرن الثاني الهجري[1]، كان ظهور هذه الفرقة نتاج خلاف عقدي حول مرتكب الكبيرة تزعمه واصل بن عطاء[2]، ومفاد هذا الخلاف حول مرتكب الكبيرة، وهل هو مؤمن أم كافر؟ فقد ذهب الخوارج إلى اعتبار صاحب الكبيرة كافراً وذهبت المرجئة إلى أنه مؤمن، ورأى الحسن البصري[3] أنه ليس بمؤمن ولا بكافر وإنما يكون منافقاً، في حين ذهب واصل بن عطاء إلى اعتبار صاحب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً ولا منافقاً بل يكون فاسقاً[4].

وقد علل المسعودي التسمية (الاعتزال) بالقول:

"أي باعتزال صاحب الكبيرة عن المؤمنين والكافرين جميعاً"[5]، وقد اعتبر الشهرستاني أن واصل بن عطاء هو مؤسس هذه الفرقة عندما دخل رجل على الحسن البصري، "فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر فكيف تحكم لنا بذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم قام

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٨٥، أحمد العمرجي، المعتزلة في بغداد، ص٢٠-٢٤.

(٢) أبو حذيفة واصل بن عطاء (ت١٣١هـ/٧٤٨م) من أئمة علم الكلام وكان يلقب بالغزال اشتهر بالتصدق على النساء العفيفات، ومن بدعه وانحرافاته القول "انه لا يعرف هل كان عثمان بن عفان رضي الله عنه هو المخطئ أم الذين قتلوه انظر ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٦٠، أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٢٩٦.

(٣) الحسن البصري، هو الحسن بن أبي الحسن البصري (ت١١٠هـ/٧٢٨م) عرف به البعض بأنه هو إمام أهل البصرة وسيد التابعين وأمه هي مولاة أم سلمة زوج الرسول ﷺ. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٤٤١، الزر كلي، الإعلام، ج٢، ص٢٤٢.

(٤) أمين، فجر، ص٢٩٦؛ El2 Mu'tazila.

(٥) المسعودي، مروج، ج٢، ص١٧٤.

واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسُمّي وأصحابه معتزلة"[1].

وللمعتزلة تعاليم دينية فكرية تعرف باسم الأصول الخمسة وهي: التوحيد، العدل، الوعد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين وأخيراً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

ويعنون بالتوحيد: أن الله واحد من كل وجه، وأن صفاته ليست زائدة على ذاته وأن كل ما يطلق عليه من صفات ما هو إلا وجه لذات واحدة بسيطة لا قسمة فيها، وأن الله واحد ليس كمثله شيء وليس بجسم وليس بذي جهات ولا يحيط به مكان، ولا يجري عليه زمان ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم وليس بمحدود ولا والد ولا مولود لا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأوهام ولا تلحقه المضار ولا يصل إليه الأذى والألم ولا يجوز عليه الفناء ولا يلحقه العجز والنقص[3].

ولما كان المعتزلة يعتقدون وحدانية الله عز وجل وأن القدم أخص لذاته الكريمة، فإنهم حاربوا كل مذهب وكل قول يتعارض مع الوحدانية[4].

(١) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) الملل والنحل، دار صادر، بيروت، (د.ت) ج١، ص٣٣–٥٥ (سيشار إليه تاليا: الشهرستاني، الملل).

(٢) عن هذه التعاليم انظر الإمام ابن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١١٢ وما بعدها، للمزيد عن فكر المعتزلة انظر فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية ص٢٨٢–٢٨٤ عادل العوا، المعتزلة والفكر الحر، ص٤٥–٥٥، حسن حنفي، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ص٥٧٧–٥٨٥،) عبد الجبار ناجي، الدولة =العربية في العصر العباسي، ، ص١٧٧، أحمد أمين، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ج١، ص٢٩٩–٣٠٥، زهدي جار الله، المعتزلة، ص١٨٤، أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية والفكر الإسلامي، ص٣٣٥–٣٣٦، Marshall, O. S. The Venture of Islam chicagopress, 1982, p.384.

(٣) أبو الحسن الأشعري (ت٣٣٠هـ/٩٤١م)، مقالات الإسلاميين، ج١، ص٣٣٥؛ أبو زيد، تاريخ، ص٣٣٥؛ حنفي، موسوعة، ص٥٧٧.

(٤) الاسفراييني، التبصر في الدين، جار الله، المعتزلة، ص٦١.

وقال المعتزلة إن كلام الله مخلوق، وذلك لنفي وجود أي قديم سوى الذات الإلهية[١]. لأن المعتزلة بقولهم بخلق القرآن يرون أنهم يردون على ركن من أركان المسيحية، وهو الاعتقاد بأن المسيح هو كلمة الله الأزلية[٢]، وهذا ما عبَّر عنه الخليفة المأمون في رسالته إلى والي بغداد إسحاق بن إبراهيم: "وضاهوا به قول النصارى في ادعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق إذا كان كلمة الله"[٣]. والقول بخلق القرآن ينبع من التوحيد بما يتضمنه من التأكيد على التفرد الكامل للذات الإلهية بالقدم.

وملخص قول المعتزلة في التوحيد هو توحيد الله فلا شريك له، وتوحيد الله في ذاته وصفاته فليست متعددة بحال، وتنزيه له عن الجسمية وصفات الحوادث وقد فرّعوا على هذا الأصل كل الفروع[٤].

اما العدل: فقد افتخر المعتزلة بهذا المبدأ وكانوا يسمون أنفسهم بأهل العدل والتوحيد[٥]، ومعنى هذا الأصل في تعاليمهم أن كل أفعال الله تعالى لا تخلو من الصلاح والخير[٦]، وأن الله تعالى لا يفعل بعباده إلا ما فيه صلاحهم[٧]، وأن الإنسان هو المسؤول عن أفعاله بمعنى أنهم تمسكوا بحرية إرادة الإنسان حتى لا ينسب الشر الناتج عن علاقة الإنسان بالآخر كالظلم إلى الله تعالى، واتفقوا على أن العبد خالقٌ لأفعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة[٨].

(١) الأشعري، مقالات الإسلاميين، أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ج١، ص١٢٩.
(٢) الأشعري، الإبانة في أصول الديانة، ص، ٤١، العمرجي، المعتزلة، ص٨٩.
(٣) الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٧٨.
(٤) الأشعري، الإبانة، ص٨٧، أمين، ضحى، ج٣، ص٤٤.
(٥) الشهرستاني، الملل، ج١، ص٥٠؛ العمرجي، المعتزلة، ص٣٦.
(٦) الشهرستاني، الملل، ج١، ص٣٩٧.
(٧) البغدادي، الفرق، ص١١٥–١١٦.
(٨) ابن المرتضى، المنية والأمل، ج٢، ص١١٧ حنفي، موسوعة، ص٥٧٧–٥٨٤؛ أمين، موسوعة، ج٤، ص٦٥٥؛ أمين، ضحى، ج٣، ص٢١–٣٦؛ العمرجي، المعتزلة، ص٣٨.

ويعني الوعد والوعيد: عند المعتزلة أن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة أي أن من أحسن عملاً فيجازى بالإحسان ومن أساء فيجازى بالإساءة عذاباً أليماً[1]، وحقيقة الوعد والوعيد تعني أن من أطاع الله دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، وأن يجازى من أحسن بالإحسان ومن أساء بالسوء[2].

المنزلة بين المنزلتين: يرى المعتزلة في هذا المبدأ أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بينهما[3]، وكان هذا التوصيف لمرتكب الكبيرة هو السبب المباشر لتسميتهم بهذا الاسم (المعتزلة) حيث اعتزلوا أي جماعة تخالفهم في هذا الرأي[4]، قال المسعودي: "وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين فهو أن الفاسق حسب ما ورد التوقيف بتسميته، وأجمع أهل الصلاة على فسوقه وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو الاعتزال"[5]، وهذا المبدأ هو سبب الخلاف بين الحسن البصري وواصل بين عطاء وعلى إثر ذلك نتجت مدرسة المعتزلة[6].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:وقد استند المعتزلة في هذا الأصل من أصولهم إلى قوله الله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الاخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ

(١) الأشعري، مقالات، ج١، ص٣١٩؛، ج١، ص١٥٧.
(٢) العمرجي، المعتزلة، ص٤٢؛ أحمد، ضحى، ج٣، ص٣٦.
(٣) القاضي عبدالجبار (ت٤١٥هـ/١٠٢٤م)، شرح الأصول الخمسة، ، ص١٣٧ البغدادي، الفرق، ص٩٨؛ الشهرستاني، الملل، ج١، ص٥٥.
(٤) العمرجي، المعتزلة، ص٤٠–٤٨.
(٥) المسعودي، مروج، ج٣، ص٢٢٢.
(٦) محمد عمارة، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ص٦٦.

فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[1].

فقال المعتزلة إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وأنه يكون بالقلب إن كفى وباللسان إن لم يكف القلب، وباليد إن لم يكفنا اللسان وبالسيف إن لم تكف اليد[2]، وهذا المبدأ هو الذي جعل المعتزلة يضطهدون مخالفيهم ويقسون عليهم لاعتقادهم أنهم بمخالفتهم قد أتوا منكراً[3]، وهذا المبدأ هو الذي جعل للمعتزلة موقفاً فعالاً في الدولة العباسية وجعل لهم سلطاناً على الناس يوم أتيح لهم[4].

نقد أصول المعتزلة:

يعرف المعتزلة بأنهم مشبهة الأفعال، لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال العباد، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح منه، تعالى الله عما يقولون، وهذا هو القياس الفاسد[5] عياذا بالله من كفرهم وضلالهم.

– المنزلة بين المنزلتين: فقد ابتدع المعتزلة هذا الأصل وخالفوا فيه الفرق الأخرى، حيث قالت الخوارج إن مرتكب الكبيرة كافر، وقالت المرجئة إن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان.أما منهج الحق فمنهج السلف الصالح من أهل السنة والجماعة، فإن موقفهم من أهل الكبائر يمكن تلخيصه بأن "أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ لا يخلدون في النار إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر

(١) الحجرات، آية٩.
(٢) الأشعري، مقالات، ج١، ص٣٣٧؛ أمين، ضحى، ج٣، ص٣٦، ٦٤.
(٣) جار الله، المعتزلة، ص٥٢.
(٤) العمرجي، المعتزلة، ص٤٥.
(٥) الإمام القاضي علي بن أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، ج٢، ص٧٩٢.

لهم وعفا عنهم بفضله كم ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز [1]، ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ وان شاء عذبهم بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل الطاعة، ثم يبعثهم إلى جنته "[2] وقد قال ابن حزم "ومن ضيع الأعمال كلها فهو مؤمن عاص ناقص الإيمان لا يكفر[3].

وفي هذا قال الإمام النووي "اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادا جازما خاليا من الشكوك ونطق الشهادتين فإن اقتصر على إحداهما لم يكن من أهل القبلة أصلا إلا إذا عجز عن النطق لخلل في لسانه أو لعدم التمكن منه أو لغير ذلك فانه يكون مؤمنا[4]، وقد ثبتت شفاعة الرسول ﷺ حيث ورد عنه قوله"شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"[5].

– التوحيد وقصدوا من ذلك نفي الصفات كالسمع والبصر وغير ذلك والرد عليهم أن صفات الله تعالى تليق بكماله وجلاله وعلوه وتنزيهه، كما ستر المعتزلة تحت هذا الأصل القول بخلق القرآن، إذ لو كان القرآن غير مخلوق للزم تعدد القدماء، " في زعمهم ويلزم على هذا القول الفاسد أن علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة وهذا قياس فاسد "[6].

–العدل: وقد ستر المعتزلة تحت هذا الأصل نفي القدر، واتفقوا مع فرقة الجبرية على أن الإنسان مجبر على أفعاله، ومسير عليها بشكل مطلق وبدون

(١) النسا، آية ٤٨.
(٢) الإمام القاضي علي بن أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، ج٢، ص٥٢٤.
(٣) ابن حزم، المحلا، ج١، ص٤٥.
(٤) الإمام النووي، شرح مسلم، ج١، ص١٤٦.
(٥) أبو داود٤٧٣٩، الترمذي ٢٤٣٥.
(٦) الإمام القاضي علي بن أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، ج٢، ص٣٩٣.

إرادة، وقالوا إن الله لا يخلق الشر، ولا يقضي به، إذ لو خلقه ثم عذب به لكان ذلك جوراً، عياذا بالله من قولهم، والرد عليهم أن هذا الأصل الفاسد يعني أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يريده، ولازمه وصفه بالعجز تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[1] فقد وهب الله العظيم الإنسان قدرة وإرادة ولكنها تحت قدرة الله تعالى وإرادته، لأن علم الله الأزلي المتصف بالكمال سبق أن الإنسان سيفعل فعله خيرا أو شراً.

–الوعد والوعيد: بمعنى أن الله تعالى سيعذب مرتكبي الكبائر وأن الله سيخلدهم في النار ولكن عقابهم أخف من عذاب الكفار، والمعتزلة بذلك أنكروا الشفاعة وان الله "لا يعفو عمن يشاء ولا يغفر لمن يريد عندهم"[2] وقد ثبت عند أهل السنة والجماعة فقد قال الرسول ﷺ "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"[3]، وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء أن شفاعة النبي ﷺ وشفاعة الصالحين يوم القيامة ثابتة في القرآن[4] وفي حديث طويل أخشى الإطالة من ذكره أقتبس منه أن الله تعالى يُشفّع محمداً ﷺ في أمته حتى يخرج من النار "من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان " وفي الحديث نفسه أن الله تعالى يقسم ليخرجن من النار من قال "لا اله إلا الله"[5].

–الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: حيث ضمنوه أصولهم بغية الخروج على الحاكم وقتاله[6] وسيوضح البحث ذلك لاحقا إن شاء الله.

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٩٢.
(٢) الإمام القاضي علي بن أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، ج٢، ص٧٩٣.
(٣) مسند الإمام احمد، ج٣، ص٢٣٠.
(٤) فتاوى اللجنة الدائمة –العقيدة، ج٣، ص٣٤٢.
(٥) أخرجه البخاري، ٧٥١٠ ينظر ،فتاوى اللجنة الدائمة –العقيدة، ج٣، ص٢٩٣.
(٦) الإمام القاضي علي بن أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، ج٢، ص٧٩٣.

تبني الخلفاء العباسيين فكر المعتزلة:

ذكر الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) في أحداث سنة ٢١٢هـ: "وفيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن، وتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام، وقال: هو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ[١]، فأدى ذلك إلى ردة فعل دينية قوية، وصدمة لعامة الناس، والفقهاء والمحدثين وغيرهم، وفي ذلك يقول المسعودي: "فعظم الناس ذلك وأكبروه، واضطربت الأمة فاشمأزت النفوس منه، وكاد البلد يفتتن"[٢].

وقد أدى هذا الوضع إلى تأجيل الخليفة المأمون فكرته بتأثير قاضي قضاته يحيى بن أكثم، إضافة إلى انشغال المأمون بالحرب مع الدولة البيزنطية والمشاكل الداخلية في مصر والشام[٣]. وقد بدأت المحنة فعلاً في سنة ٢١٨هـ حيث قال الطبري "وفي هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم في امتحان القضاة والمحدثين... وكان ذلك أول كتاب كُتب في ذلك"[٤]. وكانت رسالة المأمون إلى والي بغداد إسحاق بن إبراهيم طويلة[٥] تضمنت توضيح وتبرير رغبته في امتحان المحدثين والقضاة، وبيان دور الإمام في ترسيخ المعتقدات الدينية، واصفاً عامة الناس بالجهل في الأمور الشرعية وعدم مقدرتهم على فهم التوحيد، كما أنهم يخفقون في التمييز بين الخالق والمخلوق، وانتهى بأن طلب إلى الوالي أن يجمع ما لديه من القضاة ويقرأ عليهم كتابه ويمتحنهم فيما يقولون، فمن لم يقل بخلق القرآن يعزل من وظيفته[٦].

(١) الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٧٨.
(٢) المسعودي، مروج، ج٤، ص٤٠.
(٣) الكساسبه، السلطة، ص١٢٣.
(٤) الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٨٦.
(٥) نص الرسالة عند، الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٨٦–١٨٧.
(٦) الكساسبه، السلطة، ص١٢٤.

ثم عاود المأمون إرسال رسالة أخرى إلى الوالي إسحاق بن إبراهيم يأمره بامتحان العلماء والمحدثين، فبدأ الوالي يمتحن هؤلاء العلماء واحداً واحداً، فأجابوا إلا أربعة علماء هم "أحمد بن حنبل، وسجاده، والقواريري، ومحمد بن نوح المضروب". فأمر بهم إسحاق بن إبراهيم فشدوا في الحديد فلما كان من الغد دعا بهم جميعاً يساقون في الحديد فأعاد عليهم المحنة فأجابه سَجَّاده إلى أن القرآن مخلوق فأمر بإطلاق قيده. وأصر الآخرون على قولهم... ثم أجاب القواريري إلى أن القرآن مخلوق فأمر بإطلاق قيده، وأصر الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما"[1].

وقد أمر باستخدام القسوة والشدة في فرض هذه الفكرة، قال الدميري (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): "فحمل الناس على القول بخلق القرآن وكل من لم يقل بخلق القرآن عاقبه أشد عقوبة"[2].

فعانىَ عدة علماء خلال عهده، فإلى جانب المذكورين رفض الحارث بن مسكين قاضي مصر القول بخلق القرآن وسُجن، فبقي مسجوناً حتى أطلقه المتوكل[3].

وقد ركز المأمون اهتمامه في مسألة خلق القرآن على امتحان القضاة والمحدثين وسائر العلماء دون النظر إلى العامة، وأصبح هذا الامتحان الديني أداة دينية وسياسية في يد الخلافة العباسية استخدمتها في جميع الولايات لإظهار من يدينون بالطاعة والولاء للخليفة العباسي[4]. حيث عد الخليفة نفسه أنه الإمام الذي يلعب الدور الرئيس في ترسيخ المعتقدات الدينية، واصفا عامة

(١) الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٩٣–١٩٤.
(٢) الدميري، تاريخ، ص٩٨.
(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٨، ص٢١٦.
(٤) جار الله، المعتزلة، ص٧٨–٧٩.

الناس بالجهل في الدين وعدم مقدرتهم على فهم التوحيد، وقد وصف الخليفة المأمون المحدثين والفقهاء وعلماء الشرع الذين يتبعهم جمهور العامة بأنهم رؤوس الضلالة ناقصو التوحيد[1]. وكان المأمون يقصد من ذلك إعلاء سلطة الخليفة الدينية، وبعبارة أخرى كان يريد أن يظهر أن للخليفة الحق في فرض أي مذهب على الناس؛ لأنه كان يرى أن الخليفة هو المصدر الوحيد للسلطة الدينية للأمة، وأن له الحق في وضع السياسة الدينية للأمة والتخطيط لها، فحدث الصدام مع علماء الشريعة من عهد المأمون إلى نهاية عهد الواثق بالله٢٣٢هـ، وكانت نتيجة ذلك النزاع هي فشل الخلفاء في ادعائهم بأنهم أصحاب السلطة الدينية وفشلوا في فرض مذهبهم "الاعتزال"على العامة، فتنازلوا عن السلطة الدينية لفئة العلماء، وبقي للخلفاء السلطة السياسية فقط كما سيتضح في هذا البحث لاحقاً.

وسميت مسألة خلق القرآن بالمحنة[2]، وأطلق هذا اللفظ على الاضطهاد الذي لقيه الناس والعلماء في أواخر عهد المأمون سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م واستمر في عهد المعتصم والواثق إلى سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م[3].

وقد كان الدافع لفعل المأمون في امتحان الناس أنه كان يرى أن الواجب يحتم عليه تصحيح عقائد الناس الفاسدة، ولا سيما إذا تغلغل في أصل من أصول الدين –من وجهة نظر المعتزلة– كالإشراك مع الله في القدم شيئاً آخر، مثل القرآن الكريم[4]؛ لأن المعتزلة يدافعون عن وحدانية الله ولذلك وجدوا في القول بأن القرآن غير مخلوق ما يتعارض مع وحدانية الله تعالى، لأن

(١) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٦٣١–٦٣٤.
(٢) المسعودي، مروج، ج٤، ص٤٠.
(٣) EI2 Mihna.
(٤) أمين، ضحى، ج٣، ص١٦٩؛ العمرجي، المعتزلة، ص٦٠؛ حسن أحمد محمود وأحمد الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ، ص٤١.

الشيء إذا كان غير مخلوق أصبح قديماً أزلياً، والقدم والأزلية من صفات الله وحده[1].

أما عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم فهي أنه كلام الله تعالى ليس بمخلوق، فقد قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عندما سأله إسحاق بن إبراهيم والي بغداد في عهد المأمون:

إسحاق: ما تقول في القرآن ؟.

الإمام أحمد: هو كلام الله .

إسحاق: أمخلوق هو؟

الإمام أحمد: هو كلام الله لا أزيد عليها.

إسحاق: ما معنى أنه تعالى سميع بصير ؟

الإمام أحمد: هو كما وصف نفسه[2].

وقد قال صاحب العقيدة الطحاوية رحمه الله: "إن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم انه ككلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه، وتوعده بسقر حيث قال تعالى ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَر ﴾ (المدثر ٢٥)[3]، فلما أوعد الله بسقر من قال (إن هذا إلا قول البشر)، علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر، وغاية شبهة المعتزلة أنهم يقولون يلزم منه التشبيه والتجسيم، فيقال لهم إنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم"[4].

(١) الدميري (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٧٣.

(٢) السيوطي تاريخ الخلفاء، ص٣١٠.

(٣) المدثر آية ٢٦.

(٤) ابن أبي العز، العقيدة الطحاوية، ج١، ص١٧٢، ١٧٥.

وقد أكد علماء اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء: أن شرح الشيخ ابن أبي العز هذا هو العقيدة الصحيحة في كلام الله[1].

بعد وفاة الخليفة المأمون سنة ٢١٨هـ وجد المعتصم نفسه أمام وصية أخيه الذي فرض عليه أمرين:

الأول: الاستمساك بدعوته في مسألة خلق القرآن.

الثاني: الاستعانة بأحمد بن أبي دؤاد وهذا ما يعزز الأمر الأول.

وهكذا فكما اعتبر المأمون أخاه خليفته في تولي شؤون الحكم، فقد اعتبر ابن أبي دؤاد خليفته في الدعوة إلى القول بخلق القرآن[2]، مع أن الخليفة المعتصم كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب كما ذكر الطبري[3]، وأنه غير مثقف فلسفياً إلا أنه دعم فكرة المعتزلة بحماسة تقليداً لأخيه المأمون[4].

وقد كتب إلى الولايات يطلب الاستمرار في امتحان الناس بخلق القرآن وأمر الولاة أن يعلموا الصبيان ذلك وقاسى الناس معه مشقة كبيرة[5]، وأصبح كل عالم أو قاضٍ معرضاً للضرب بالسياط والتعذيب إذا لم يأخذ برأي المعتزلة بالقرآن[6].

كما حدث مع نعيم بن حماد الذي أُحضر من مصر للامتحان وسُئل عن خلق القرآن فامتنع فحُبس[7].

وقد كانت أهم وقائع المحنة في عهد المعتصم بالله هي محنة الإمام أحمد

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، ج٣، ص١٥٢.
(٢) عبد الحسين، موقف، ص٣٨٨.
(٣) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٧٢.
(٤) الكساسبة، السلطة، ص١٢٦؛ El1 "Mihna".
(٥) السيوطي، تاريخ، ص٣٣٥.
(٦) جار الله، المعتزلة، ص١٧٢.
(٧) القرماني، أخبار، ص١٥٥.

ابن حنبل[1]، الذي عانى منذ أن أمر المأمون بجلبه مقيداً لامتناعه عن القول بخلق القرآن وأودع السجن[2]، وكان يتسلل إليه القوم ويطلبون منه أن يقول بخلق القرآن تقية كما قال غيره من العلماء فرفض ذلك[3].

طلب المعتصم الإمام أحمد فأحضر له من السجن، وعقد له مجلساً للمناظرة استمر ثلاثة أيام كان يناظره القاضي أحمد بن أبي دؤاد وغيره، وقد وصف الدميري (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ذلك بالقول: "ولم يزل معهم في جدال إلى اليوم الرابع فأمر بضربه، فضرب بالسياط ولم يزل عن الصراط إلى أن أُغمي عليه ونخسه عجيف بالسيف ورمى عليه حصيرة ودِيسَ عليه، ثم حمل فصار إلى منزله وكانت مدة مكوثه في السجن ثمانية وعشرين شهراً"[4] عانى فيها أشد الأهوال من جلد بالسياط وحبس مظلم وغير ذلك[5].

ويبدو أن الخليفة المعتصم قد أعجب بثبات الإمام أحمد وصلابته، حيث شفق عليه وكان يخلو به ويقول له "ويحك يا أحمد أنا والله شفيق عليك وإني لأشفق عليك مثل شفقتي على ابني هارون يعني الواثق فأجبني فوالله لئن أجبتني لأطلقن غلك بيدي ولأطأن عتبتك ولأركبن إليك بجندي. فيقول: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله (ﷺ) فإذا طال المجلس به ضجر وقام ورد أحمد في الموضع الذي كان فيه وتردد إليه رسل المعتصم يقولون: يا أحمد أمير المؤمنين يقول لك ما تقول في القرآن؟ فيرد كما رد أولاً"[6] بقي في سجنه وقد ذكر ابن العماد الحنبلي ما يفيد بأن

(١) عن تفاصيل محنة الإمام انظر ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، مناقب الإمام أحمد، ص٢٦–٥٣.
(٢) الدميري، تاريخ، ص٩٨.
(٣) أبو نعيم، الأصبهاني، حلية الأولياء، ١٩٦٩، ج٩، ص١٩٧.
(٤) الدميري، تاريخ، ص١٠٠.
(٥) ابن الجوزي، مناقب، ص٣٩٧–٤١٦؛ عبد الحسين، موقف، ص٣٩٢–٣٩٥.
(٦) الدميري، تاريخ، ص١٠١.

الخليفة ندم على ضرب الإمام أحمد –رحمه الله تعالى–[1].

كما عانى علماء آخرون مثل ما عانى الإمام أحمد، فقد اضطهد بعضهم وقتل آخرون مثل قتل والي مصر عدداً من العلماء الذين لم يصرحوا باعتقادهم بخلق القرآن[2]، وقد كان تشدد الخليفة المعتصم في فرض مذهب الاعتزال من باب التقليد والوفاء لمبادئ وصية أخيه المأمون[3].

تعاظم نفوذ المعتزلة واضطهادهم علماء السنة:

خلف الواثق بالله أباه المعتصم بالله بالحكم، وقد كان على درجة عالية من العلم والمعرفة حتى وُصف بالمأمون الأصغر لغزارة معرفته وعلمه وأدبه وفضله، وقد اقتدى الواثق بكل من عمه المأمون وأبيه المعتصم في مسألة خلق القرآن، ويبدو أن رجال الإدارة والعلم الذين أحاطوا به قد حملوه على التشدد في المحنة، كما سيأتي ذكره لاحقاً، فسار على خطى عمه وأبيه بتطبيق مذهب الاعتزال واتخذ مجموعة من التدابير لغايات فرض مذهب الدولة على الناس، **ويمكن حصر هذه الإجراءات بما يأتي:**

١. استخدام أساليب الدعاية والإعلام المتاحة آنذاك، وهي المنابر والمساجد، حيث أمر الخليفة الواثق بالله بأن يُكتب على باب البيت الحرام في مكة، وعلى أبواب المساجد عبارة (القرآن مخلوق)[4].

وهنا يبدو أن الخليفة كان يريد تعميم فكرة خلق القرآن على المسلمين كافة الذين يأتون البيت الحرام للحج والعمرة والزيارة من كل حدب وصوب.

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٢، ص٦٩٩.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٢١٨؛ الكساسبة، السلطة، ص١٢٦.

(٣) حسن محمود، العالم الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٥م، ص١٤١.

(٤) محمد التميمي (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م) كتاب المحن، ١٩٨٣، ص٢٥٣، تقي الدين الحنفي (ت١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج١، ص٣٨–٣٩.

٢. **أمر القضاة في دولته بامتحان الناس في خلق القرآن.**

قال اليعقوبي "وكتب إلى القضاة أن يفعلوا ذلك في سائر البلدان وأن لا يجيزوا إلا شهادة من قال بالتوحيد –خلق القرآن– فحبس بهذا السبب عالماً كثيراً"(١).

٣. **تعيين موظفي الدولة ممن يؤمنون بمذهب الاعتزال وخاصة القضاة**، حيث عاتب الخليفة أحمد بن أبي دؤاد عندما عين قاضياً من غير المعتزلة فقال له: يا أحمد "لم تولي قضاءنا من لا يذهب مذهبنا"، يقصد بذلك أحد القضاة في البصرة(٢).

إن الخليفة الواثق عين في الدولة قضاة يؤمنون بالاعتزال مثل الحسن بن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري مولى أم سلمة المخزومية على قضاء مدينة بغداد بعد أن عزل قاضيها(٣).

٤. **امتحان موظفي الدولة**:

كالأئمة والمؤذنين فقد بعث الخليفة الواثق بالله بكتاب إلى والي البصرة في سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م يأمره فيه بامتحان أئمة المساجد والمؤذنين في مسالة خلق القرآن(٤).

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٨٢، انظر فاروق عمر فوزي، العباسيون الأوائل، ص٢٨٤.

(٢) وكيع بن حيان (ت٣٠٦هـ/٩١٨م) أخبار القضاةج٢، ص١٧٥ J.saundress, A History of medieval Islam, London, 1982, P112.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٠، ص٧٣؛ ابن الجوزي المنتظم، ج١١، ص٢٩٧؛ ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٠٧.

(٤) الذهبي، العبر، ج١، ص٣٢٠–٣٢١، الذهبي، تاريخ، ص٦، الحنبلي، شذرات، ج٢، ص٦٩، اليافعي، مرآة، ج٢، ص٧٦، ابن ثغري بردي، النجوم، ج٢، ص٣١٤–٤٨٢، السيوطي، تاريخ، ص٣٤٠علي، موسوعة، ص٢١٧، حسين، موسوعة، ص٤٦٨–٤٦٩، Hussein F.Kasassbeh, The office of qadi in the early Abbasid Caliphate (132–247, 750–861) Amman, 1994. P230.

٥. **محاولة فرض هذا المذهب على العامة:**

حيث امتحن المخالفين من العامة وأمر بمناظرتهم وحملهم على قبول هذا المذهب[١]. أمر الخليفة الواثق بالله في سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م بامتحان أهل الثغور فقالوا جميعاً بأن القرآن مخلوق فأعطاهم الخليفة الجوائز وأبقاهم في مناصبهم[٢].

٦. **امتحان العلماء:**

فقد أمر الخليفة بامتحان العلماء[٣] بمشورة قاضيه أحمد بن أبي دؤاد. مثل أبي يعقوب يوسف البويطي الذي حُمل من مصر إلى العراق للامتحان، فامتنع عن القول بخلق القرآن فسجن حتى مات بسجنه[٤]، وغيره كثير من العلماء[٥].

٧. **امتحان الأسرى:**

أمر الخليفة الواثق بالله في أثناء تبادل الأسرى مع الدولة البيزنطية سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م بامتحان الأسرى، فمن أجاب بأن القرآن مخلوق تم إطلاق سراحه وأعطي جائزة مالية[٦]، حيث أمر الخليفة أن يعطى جميع من قال إن القرآن مخلوق "ممن فودي به ديناراً لكل إنسان"[٧] أما من أبى الإجابة في خلق القرآن فبقى في الأسر[٨].

(١) أبو الحسن الماوردي (ت٤٥٠هـ)، نصيحة الملوك، ص١٠٦؛ الأزدي، أخبار، ج٢، ص٣٥٤.
(٢) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٥؛ مسكويه، تجارب، ج٤، ص٩٨؛ زهدي جار الله، المعتزلة، ، ص١٨٥.
(٣) الذهبي، دول، ج١، ص١٠٨.
(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص٢٩٩–٣٠٢.
(٥) انظر الجدول رقم (١).
(٦) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٥–٢٨٦؛ مسكويه، تجارب، ج٤، ص٩٩؛ ابن واردان، تاريخ، ص٥٥٦–٥٥٧؛ ابن العبري، تاريخ، ص٣٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٣١٤.
(٧) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٥.
(٨) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٥؛ جار الله، المعتزلة، ص١٨٥؛ ناجي، الدولة، ص١٤٦؛ خالد الجنابي، تنظيمات الجيش ، ص١٣٤.

ويرى الباحث أن في إجراء الخليفة الواثق بالله هذا الإجراء مع الأسرى صورة من صور التعصب المذهبي الذي لا مبرر له، وربما كان كثيرٌ من الأسرى أجابوا بخلق القرآن لأجل إطلاق سراحهم.

٨. **جمع الواثق بالله حوله الكثير من العلماء** الذين وافقوه على مذهبه القائل بخلق القرآن كما هو موضح تاليا، كما أقدم على تعذيب وقتل العلماء الذين خالفوه الرأي كما سيتضح لاحقا إن شاء الله.

موقف العلماء والعامة من اضطهاد المعتزلة لهم:

كان الخلفاء العباسيون بعد قيام الدولة العباسية مهتمين في تأسيس شرعية حكمهم، وكان عليهم إيجاد الأسس الفعالة لتلك الشرعية، فقد أكد العباسيون أنهم حصلوا على هذه السلطة من الله، لذلك تبنوا ألقابا دينية ذات مغزى سياسي، لأنهم كانوا يأملون أن يكونوا المرشدين الروحيين للأمة الإسلامية، غير أن السواد الأعظم من الأمة الإسلامية رفض تسليم الخلفاء العباسيين أي سلطة خاصة تنظم مثل هذه المسائل[١].

وقد حاول الخلفاء العباسيون أن يكونوا المصدر الوحيد للسلطة الدينية، وفي المقابل اعتبر العلماء أنهم مصدر السلطة الدينية وقاد هذا الموقف إلى توتر محتم بين الطرفين اتضح بجلاء إبان فترة المحنة التي سيرد الحديث عنها لاحقا في هذا البحث[٢].

لقد كانت وجهة نظر العلماء من الخلافة العباسية في عصرها الأول متباينة، ويمكن تصنيف مواقفهم السياسية إلى ثلاث مجموعات:

الأولى: مجموعة معارضة تتراوح بين المعارضة العنيفة التي مثلها فقهاء التيارات العلوية والخوارج، وهناك المعارضة السلمية الخفية مثل معارضة أبي

(١) حسين الكساسبة، السلطة القضائية، ص١١٩.

(٢) انظر أعلاه.

حنيفة رحمه الله ومعارضة مالك بن أنس رحمه الله وغيرهم ممن أيدوا ثورة محمد بن النفس الزكية[١].

الثانية: العلماء المحايدون وهؤلاء ابتعدوا عن الشؤون السياسية وركزوا جل اهتمامهم على العلوم والمعارف الدينية مثل فقيه الشام الإمام الاوزاعي[٢].

الثالثة: العلماء الموالون للسلطة العباسية ممن عملوا في وظائف حكومية كالقضاء مثل الفقيه أبي يوسف رحمه الله[٣].

يرى فهمي جدعان أن الهدف من تبني مذهب الاعتزال في عهد المأمون والمعتصم والواثق هو إضعاف فئة الفقهاء والعلماء[٤]، الذين كان لهم تأثير عميق على العامة والذين أصبح لهم شعبية تشكل قوة دينية وسياسية تنافس قوة الخلفاء[٥].

كما بين الباحث أثناء الحديث العلاقة بالعلماء الحديث في هذا البحث[٦].

كما أن منهج المعتزلة لم يناسب إلا الخاصة ولذلك لم يعتنق الاعتزال إلا خاصة المثقفين، أما العوام فكانوا يكرهون هذا المذهب، ولذلك عارضوه[٧]، وكرهوا الخليفة الواثق بالله وفسدت قلوب عامة الناس عليه[٨].

إن الإجراءات التي اتبعها الواثق لفرض أفكاره[٩]، أغضبت الناس عليه؛

(١) للمزيد ينظر، فتحي الشواورة، سياسة الخليفة المهدي، ص١٣٧.
(٢) الكساسبة، السلطة القضائية، ص١١٢.
(٣) المرجع نفسه، ص١١٣.
(٤) انظر العلي، سامراء، ص٣٢.
(٥) فهمي جدعان، المحنة، ص٢٩٧؛ سلطان بن حثلين، الفقهاء، والخلفاء، ، ص١٢٨.
(٦) انظر أعلاه، ص١٧.
(٧) أمين، موسوعة، ج٢٢، ص١٥٢، أيوب، التاريخ، ص٩٨.
(٨) السيوطي، تاريخ، ص١٢٨.
(٩) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، ص٣١.

لأنه أشغلهم بالمحنة فكرهوه[1]، وقد أشار ابن العبري إلى أنه أنزل بمن خالفه في الاعتزال عذاباً فادحاً[2]، وقد انقسم العلماء إلى فريقين تجاه مذهب الاعتزال:

الفريق الأول: أجاب بعض العلماء لمذهب الخليفة ووافقوه على الاعتزال.

ويبدو أن بعضهم أجاب لقناعة وفكر، وفريقاً أجاب طمعاً في مغنم، وهناك من أجاب موافقة للتيار العام لكونه مذهب الدولة، ومنهم من أجاب خوفا من السلطان، والله تعالى أعلم بالسرائر، لأن هذا الأمر محله القلب ولا يعلمه إلا الله. لقد كانت وجهة نظر العلماء من الخلافة العباسية في عصرها الأول متباينة، ويمكن تصنيف مواقفهم السياسية إلى ثلاث مجموعات:

الأولى: مجموعة معارضة تتراوح بين المعارضة العنيفة التي مثلها فقهاء التيارات العلوية والخوارج، وهناك المعارضة السلمية الخفية مثل معارضة أبي حنيفة رحمه الله ومعارضة مالك بن انس رحمه الله وغيرهم ممن أيدوا ثورة محمد بن النفس الزكية[3].

الثانية: العلماء المحايدون وهؤلاء ابتعدوا عن الشؤون السياسية وركزوا جل اهتمامهم على العلوم والمعارف الدينية مثل قيه الشام الإمام الاوزاعي[4].

الثالثة: العلماء الموالون للسلطة العباسية ممن عملوا في وظائف حكومية كالقضاء مثل الفقيه أبو يوسف رحمه الله[5].

ومن هؤلاء العلماء الذين أجابوا الخليفة ووافقوه في "الاعتزال":

١. أبو الفضل جعفر بن حرب الهمذاني المعتزلي العابد: والذي كان مقرباً

(١) القضاعي، عيون، ص٤٤٨، النويري، نهاية، ج٢٢، ص٢٧٥، سالم، العصر، ص٩٦.
(٢) ابن العبري، تاريخ، ص٣٦.
(٣) للمزيد ينظر، فتحي الشواورة، سياسة الخليفة المهدي، ص١٣٧.
(٤) الكساسبة، السلطة القضائية، ص١١٢.
(٥) المرجع نفسه، ص١١٣.

من مجالس الواثق ومناظراته ووافقه على مذهب الاعتزال[١].

٢. صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور الهاشمي الذي كان يقول بخلق القرآن أيام الواثق بالله[٢].

٣. عبد الملك بن عبد العزيز الحافظ أبو نصر الثمار الذي كان إمامًا عالماً زاهداً، وقد كان على خلاف مع الإمام أحمد بن حنبل، حيث نهى عن الأخذ عنه لأنه أجاب في المحنة[٣].

٤. أبو عثمان المازني[٤]، وهو الشاعر والأديب النحوي الذي استدعاه الواثق من البصرة وحضر مجالس الخليفة العلمية.

٥. القاضي أحمد بن أبي دؤاد[٥].

٦. الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات وهو وزير الخليفة الواثق ومن رؤوس المعتزلة.

٧. عبد الله بن محمد بن يزيد الخليجي، كان فقيهاً على مذهب أبي حنيفة، وكان يقول بخلق القرآن[٦].

الفريق الثاني: وهم الذين عارضوا مذهب المعتزلة وعانوا في ذلك معاناة كبيرة، حتى إن بعضهم عُذب وسُجن ووصل الحد ببعضهم إلى دفع حياته ثمناً لمعارضته لفكر المعتزلة، ويمكن ذكر أبرز هؤلاء العلماء:

(١) الإمام ابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، ص١٧٤.

(٢) ابن منظور، مختصر، ج٢٧، ص٤٢-٤٣.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص٣٠٧.

(٤) الحنبلي، شذرات، ج٢، ص١١٣-١١٤.

(٥) Farowq Omar Fawsi, studies on the history of sects in medieval Islam, Al Albayt university, Jordan, 2001, p.124.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٧، ص٢٤٠؛ أبو يعلى، طبقات الحنفية، ج١، ص٢٩٠.

١. **الإمام أحمد بن حنبل:**

هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن شيبان، ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م، وهو إمام المحدثين في عصره، صنف مسنده الذي جمع فيه الحديث[١]، دُعي الإمام أحمد إلى القول بخلق القرآن في عهد المأمون، ولكنه رفض وحبس وظل في السجن دون أن يثنيه عن رأيه وظل على معارضة لرأي فيما يخص القرآن، وفي عهد الخليفة المعتصم طلبه إلى مجلسه كما مرَّ سابقاً وأحضر له الفقهاء فناظروه، فلم يجب فضرب وحبس سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م، وبقي في الحبس إلى أن مات الخليفة المعتصم، فلما ولي الخليفة الواثق بالله منعه من الخروج من داره إلى أن أخرجه المتوكل وخلع عليه[٢]، وفي أثناء اشتداد المحنة أيام الخليفة الواثق بالله جاءه بعض الفقهاء واستشاروه في الثورة والخروج على الخليفة، فرفض الإمام أحمد ذلك، ونصحهم بالإنكار، وإلا يعرضوا أنفسهم إلى الهزيمة والقتل ونصحهم بالصبر[٣]. ولم يذهب الواثق بعيداً في معاملة واضطهاد أحمد بن حنبل، ويعود ذلك كما يبدو لأسباب أولها: أن الواثق كان عارفاً أنه مع تعذيب الإمام أحمد واضطهاده لم يغير وجهة نظره وموقفه من خلق القرآن، وثانيها: أن الخليفة

(١) عن سيرة الإمام أحمد بن حنبل المفصلة انظر ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٦٣، التميمي، المحن، ص٤٣٨، ابن حجر العسقلاني، (ت٧٧٣–٨٥٢هـ/١٣٧١–١٤٤٨م) أطراف مسند الإمام أحمد، ج١، ص٣٧–٤٣، ابن جزية البغدادي، (ت٤٩٣هـ) مختصر تاريخ بغداد، ص١٢٧، ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٢٥–٣٤٢، ألسبكي، (ت٧٢٧–٧٧١هـ/١٣٢٦–١٣٦٩م) طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص٢٢، جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) طبقات الحفاظ، ، ص١٨٦، القاضي أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ، ج١، ص، Fawzi, studies, p.272؛ أحمد، موقف، ص٣٩٦، عاشور، دراسات، ص٤٨، الشكعة، الإمام، ص١٦١، ختام القرعان، الفكر التربوي عند الإمام أحمد ص٤.

(٢) إسحاق بن حنبل، ذكر محنة الإمام أحمد، ١٩٨٣، ص٧٢–٧٣.

(٣) ابن حنلين، الفقهاء، ص١٣٢–١٣٣، أمين، موسوعة، ج٣، ص١٦١.

خشي من ردة فعل العامة المتعاطفين مع الإمام أحمد لو استمر في تعذيبه[1]. وثالثها أن الشيخ الأذرمي الذي ناظر ابن أبي دؤاد وهزمه في تلك المناظرة، قد قلل من شأن ابن أبي دؤاد ومذهب المعتزلة في عين الواثق كما سيتضح لاحقاً.

٢. **أحمد بن نصر الخزاعي** :

الذي سيأتي الحديث عنه لاحقا إن شاء الله

٣. **أبو يعقوب يوسف البويطي**:

هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، صاحب وتلميذ الإمام الشافعي[2]، ينسب إلى قرية بويط في صعيد مصر، وقد قام البويطي مكان الشافعي بمصر بعد وفاته في الدرس والإفتاء[3]، ولما كانت المحنة في خلق القرآن حُمل الإمام البويطي على بغلة من مصر مقيداً فلما وصل إلى العراق أُريد منه القول بأن القرآن مخلوق فامتنع عن ذلك ولم يجب فبقي في السجن، وكان وهو مسجون إذا سمع المؤذن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن فيقول له السجان أين تريد فيقول أجيب داعي الله فيقول: ارجع عافاك الله فيقول: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني[4].

٤. **نعيم بن حماد**:

من العلماء الذين امتحنوا بخلق القرآن نعيم بن حماد الخزاعي الحافظ، أحد علماء الأثر، امتُحن فلم يجب فحبس وقيد ومات في الحبس سنة ٢٢٩هـ

(١) Patton, W. M., Ahmad bin Hanbal and the Mihna, Leiden, 1897, p.119.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص٢٩٩–٣٠٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج١، ص١٧٤، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٦، الترمانيني، أحداث، ص٣٠٧، القلقشندي، مآثر، ج١، ص٢٢٧.

(٣) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج٤، ص٢٦، ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٦١–٦٤.

(٤) الذهبي، العبر، ج١، ص٣٢٣، اليافعي، مرآة، ج٢، ص٧٧، ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص٣٠٦، ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٣٥، الحنبلي، شذرات، ج٢، ص٧١–٧٢، ألسبكي، طبقات، ج٢، ص١٦٢–٢٦٥.

رحمه الله تعالى[1].

٥. بكار بن الحسن بن عثمان بن زياد بن عبد الله العنبري.

وهو من فقهاء السنة الذين امتحنوا في أيام الواثق بالله، ولكنه لم يجب بأن القرآن مخلوق فأوذي[2].

وكان يقول "عيون الناس ممدودة إليَّ فإن أجبت أخشى أن يجيبوا ويكفروا" وقد تجهز للثورة على الخليفة الواثق فلما تهيأ لها جاءه خبر وفاة الخليفة، وقد توفي سنة ٢٣٨هـ رحمه الله[3].

٦. عفان بن مسلم بن عبد الله البصري.

سكن بغداد ورفض القول بخلق القرآن زمن الخليفة الواثق بالله[4]، وهو من الفقهاء الذين امتحنوا في عهد الواثق بالله ولكنه لم يجب بخلق القرآن.

٧. أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الأذرمي.

امتحن ولم يجب[5]، وناظره مع القاضي ابن أبي دؤاد بحضور الخليفة الواثق، وانتصر على أبي دؤاد في المناظرة وكان سبباً في تراجع الخليفة عن الاعتزال.

٨. الحارث بن مسكين:

وهو فقيه ومحدث عاش في مصر، كان مولده سنة ١٥٤هـ/٧٦٦م، رفض القول بخلق القرآن فحمل إلى مصر في عهد المأمون وسجنه فبقي في السجن

(١) الذهبي، العبر، ج١، ص٣١٨، الذهبي، دول، ج١، ص١٠٧، ألسبكي، طبقات، ج٢، ص٥٣، الترمابيني، أزمنة، ج١، ص٩٠٦، ابن حثيلين، الفقهاء، ص١٣٣؛ Kassasbeh, the office, p.119.

(٢) ابي الشيخ الأنصاري (ت٢٧٤–٣٦٩هـ/٨٦١–٩٧٩م) طبقات المحدثين بأصبهان،ج٢، ص١٣١–١٣٢، تقي الدين التميمي، طبقات المحدثين، ج١، ص١٦٨.

(٣) الشيخ الأنصاري، طبقات المحدثين، ج٢، ص١٣١.

(٤) التميمي، المحنة، ص٤٣٦.

(٥) السيوطي، تاريخ، ص٣٤١–٣٤٢.

حتى أطلقه المتوكل وأكرمه وأعاده إلى مصر وعينه قاضياً عليها، توفي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٠م[١].

٩. إبراهيم بن هاني أبو إسحاق النيسابوري:

كان ورعاً صالحاً صبوراً، رفض مذهب الاعتزال ومدحه الإمام أحمد بن حنبل وقال عنه "إن كان في البلد رجل من الأبدال فأبو إسحاق النيسابوري"[٢].

١٠. حنبل بن أحمد بن حنبل:

رفض فكر المعتزلة وكان يقول "القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه عز وجل"[٣].

أما العامة فلم يستجيبوا لسياسة الخليفة الواثق في فرض الاعتزال عليهم وكرهوه وكرهوا هذا الفكر، يشير المسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) لذلك بالقول: "شغل نفسه بمحنة الناس في الدين فأفسد عليهم قلوبهم وأوجدهم السبيل في الطعن عليه"[٤]، وذلك بمشورة ودعم من حاشيته والمقربين إليه، فقد بقي المعتزلة هم أصحاب النفوذ والسلطان، ومن أشهرهم أحمد بن أبي دؤاد قاضيه[٥]، ووزيره محمد بن عبد الملك الزيات[٦].

لقد كانت سياسة التشدد في فرض هذا المذهب وما رافقه من كبت وعنف سبباً في ظهور ردة فعل عنيفة في بغداد، إلى القيام بثورتين:

١. في سنة ٢٢٧هـ/٨٩٠م ثار جماعة من عامة الناس في بغداد على أبي صالح شعيب بن سهل الرازي الذي كان إمام مسجد الرصافة؛ الذي كان

(١) الذهبي، سير، ج١٢، ص٥٤.
(٢) الذهبي، طبقات الحفاظ، ج١، ص٩٧.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٤٣.
(٤) المسعودي، التنبيه، ص٣٢٩، انظر، محل، رسوم، ص١٥٥.
(٥) ألسبكي، طبقات، ج٢، ص٦١.
(٦) ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص١٠٣.

يتبنى مذهب الاعتزال ويمتحن الناس في خلق القرآن؛ فقام العامة بردة فعل ضد هذا الرجل فقاموا بإحراق داره ونهبوا منزله وحاولوا قتله لكنه هرب منهم[١].

٢. حركة أحمد بن نصر الخزاعي: هو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، كان جده مالك من نقباء الدعوة العباسية[٢]، تناولت كثير من المصادر قصة قتله، حيث اعتبرته شهيد زمانه، ووصفوه بأنه كان من أهل الحديث قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٣]، ونعته آخر بأنه كان إماماً قوالاً للحق[٤]، وقد أسهبت المصادر في الحديث عنه وعن الحركة التي قام بها في بغداد[٥]. فوصفه الذهبي: " بالإمام الكبير الشهيد... كان أمَّاراً بالمعروف قوَّالاً للحق"[٦]. وقال عنه السبكي "الإمام أحمد بن نصر ذو الجنان واللسان والثبات وإن اضطرب المهند واللسان والوثبات كان شيخاً جليلاً قوالاً بالحق أماراً بالمعروف نهاءاً عن المنكر"[٧].

أما تفاصيل هذه الثورة فقد وردت مفصلة عند الخطيب البغدادي

(١) وكيع، أخبار، ج٣، ص٢٧٧.
(٢) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨١، البغدادي، الفرق، ص١٦٣، مسكويه، تجارب، ج٤، ص٩٥–٩٨، ابن واردان، تاريخ، ص٥٦٢–٥٦٣، السبكي، طبقات، ج٢، ص٥١، ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٠٥، ابن العماد، شذرات، ج٢، ص٦٩، البكجري، مختار، ص١٣٥.
(٣) السيوطي، تاريخ، ص٣٤٠.
(٤) الذهبي، دول، ج١، ص١٠٧، ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١٦٥.
(٥) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٨٢، الدميري، تاريخ، ص١٠٨. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج٢، ص٣٣٧، الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٥، ص١٧٣، النويري، نهاية، ج٢٢، ص٢٦٥، رمزية الأطرقجي، الحياة الاجتماعية في بغداد، ص٨٠، ، هناء الضمور، الحياة العلمية والثقافية في سامراء، رسالة، ص٨٠.
(٦) سير، ج١٠، ص٣٠٦.
(٧) ألسبكي، طبقات الشافعية، ج٢، ص٥١.

(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م):

ففي سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م اجتمع أهل بغداد يطلبون من أحمد بن نصر قيادة ثورتهم ضد الدولة وبمساعدة الميسورين من أهل بغداد، وخُصصت مبالغ مالية لهذه الثورة، حيث يذكر الطبري أنه أُعطي "كل رجل منهم ديناراً ديناراً"[١].وحدد موعد لقيام هذه الثورة التي أُفشي سرها بسبب شرب بعض أتباعها من العامة النبيذ[٢]. فتم القبض على أحمد بن نصر، فحمل من بغداد إلى الخليفة في سامراء، وهناك حدث حوار بين الواثق بالله وأحمد بن نصر، وهذا نص الحوار:

الواثق: ما تقول في القرآن؟

أحمد بن نصر: هو كلام الله.

الواثق: أمخلوق هو؟

أحمد بن نصر: هو كلام الله.

الواثق: أفترى ربك يوم القيامة؟

أحمد بن نصر: كذا جاءت الرواية.

الواثق: ويحك يُرى كما يُرى المحدود المتجسم يحويه مكان ويحصره الناظر. أنا أكفر برب هذه صفته "الواثق يخاطب الحاشية: ما تقولون فيه؟" عبد الرحمن بن إسحاق القاضي على الجانب الغربي ببغداد هو حلال الدم.

ابن أبي دؤاد: "كان كارهاً لقتل أحمد بن نصر": يا أمير المؤمنين شيخ مُختل لعل به عاهة أو تغير عقل يؤخر أمره.

الواثق: ما أراه إلا مؤدياً لكفره قائماً بما يعتقده منه، فطلب الواثق

(١) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٢.

(٢) المصدر نفسه، تاريخ، ج٥، ص٢٨٢.

بالصمصامة[1]، وقال إذا قمت إليه فلا يقومن أحد معي فإني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها، ثم أمر بالنطع وأُجلس عليه وهو مقيد وأمر بشد رأسه بحبل، وأمرهم أن يمدوه ومشى إليه حتى ضرب عنقه وأمر بحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي. وأمر الواثق أن تعلق ورقة في أذنه مكتوب عليها: "بسم الله الرحمن الرحيم: هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك دعاه عبد الله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى إلا المعاندة فجعله الله إلى ناره"[2].

وكان مقتل أحمد بن نصر يوم السبت في شهر رمضان وهو صائم سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م، حيث صلب جسمه في سامراء وبعث رأسه، ونُصب في بغداد ولم يزل منصوباً ست سنين حيث أمر الخليفة المتوكل بالجمع بين رأسه وجسده، ودفن في الجانب الشرقي من بغداد[3].

وبعد قتل أحمد بن نصر أمر الواثق بتتبع أنصاره فسجن منهم حوالي خمسين رجلاً حيث تم قيّدوا بالحديد ومنع ذووهم من زيارتهم[4].

وتتطرق بعض المصادر إلى أسباب أُخرى أدت إلى قتل أحمد بن نصر تعدت ذلك الحوار ويمكن إجمالها بأن أحمد بن نصر قد استفز الخليفة الواثق حيث قال له:

"ما أنت والعلم إنما أنت نطفة سكران في رحم قينة، فأمر الواثق بقتله"[5]، ويبدو أن مثل هذا الطعن بنسب الخليفة لا يمكن أن يصدر من

(١) الصماصمة: هو السيف الذي ينثني يعود السيف إلى عمرو بن معد يكرب، انظر، الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٣–٢٨٤؛ نعمان ثابت، العسكرية في عهد العباسيين، ، ص١٥٠.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٥، ص١٧٣–١٧٩، وقد ورد حوار مشابه عند ابن الأثير الكامل، ج٥، ص٢٧٤، ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٠٤، الذهبي، طبقات، ج١، ص٨٠–٨٢، السيوطي، تاريخ، ص٣٤٠–٣٤١.

(٣) ابن الجوزي ت٥٩٧هـ، صفة الصفوة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٩م، ج٢، ص٣٣٧–٣٣٨.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٤، ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٠٥.

(٥) التميمي، المحن، ص٢٤٧.

الفقيه أحمد بن نصر.

وهناك من ذكر أن أحمد كان ينعت الخليفة بالخنزير والكافر[١]، وأنه خاطب الخليفة بالقول: "يا صبي"[٢] وأغلظ عليه في الخطاب[٣]، أما الدراسات الحديثة فقد تباينت في سبب مقتله فمنهم من اعتبر مقتل أحمد دلالة واضحة على قوة وتصميم الفقهاء على مقاومة فكر الاعتزال حتى ضحى بعضهم بنفسه[٤]، ورأت بعض الدراسات أن سبب مقتل أحمد يعود لأسباب تتعلق بسلامة الدولة أكثر من كونها عقائدية، ذلك أن الخليفة لم يقتل أحمد بن حنبل المعروف بصلابته في معارضة عقيدة الدولة[٥]، وهناك من اعتبر مقتله يعود لسبب سياسي وليس لخلاف أيديولوجي مذهبي[٦]، وبمقتل أحمد ظهرت ملاحم أسطورية أخذت تسري بين الناس عن أنه بعد صلبه على عود في بغداد رآه الناس يحرك رأسه نحو الكعبة ويتكلم الشهادة[٧].

يبدو أن الخليفة الواثق تراجع عن الاعتزال قبل وفاته على ما ذكرت كثير من المصادر[٨] وبعض الدراسات الحديثة[١]، وقد استندوا في هذا الرأي

(١) ابن خلدون، العبر، ص٧٥١.
(٢) الذهبي، دول، ج١، ص١٠٧، الذهبي، العبر، ج١، ص٣٢١.
(٣) اليافعي، مرآة، ج٢، ص٧٦.
(٤) جدعان، المحنة، ص١٧١، عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية ، ص٣٦.
(٥) فاروق عمر فوزي، العباسيون الأوائل، ج٢، ص٥٢٥، (سيشار إليه تاليا: فوزي، العباسيون).
(٦) Kassasbeh, The office, p.118.
(٧) عبد الملك، سمط، ج٣، ص٤٥٨، ألسبكي، طبقات، ج٤، ص٥٢–٥٥، أبو يعلي، طبقات، الحنابلة، ج١، ص٨٠–٨٢.
(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص١٦، ابن منظور، مختصر، ج٢٧، ص٤٥، ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٣٦٠–٣٦٧، الذهبي، دول، ج١، ص١٠٩، ألسبكي، طبقات، ج٢، ص٥٩–٦٠، ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٠٩–٣١٠، الدميري، تاريخ، ص١٠٨–١١٠، القرماني، أخبار، ج٢، ص١٠٧، عبد الملك، سمط النجوم، ج٣، ص٤٥٩–٤٦٠، ابن واردان، تاريخ، ص٥٦٢، مقديش، نزهة، ج١، ص٢٥٥.

إلى الرواية التي أوردها ابن الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) للحوار الذي دار في مجلس الخليفة الواثق بالله مع الشيخ عبد الله بن محمد الأذرمي بأنه هو السبب في نهاية الاعتزال.

(بحضور الخليفة الواثق بالله) جيء بالشيخ الأذرمي مقيداً.

ابن أبي دؤاد: يا شيخ ما تقول في القرآن أمخلوق هو؟

الشيخ: لم تنصفني المسألة، أنا أسألك قبل الجواب هذا الذي تقوله يا ابن أبي دؤاد من خلق القرآن، شيء علمه رسول الله – ﷺ – وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي –رضي الله عنهم– أو جهلوه.

ابن أبي دؤاد: بل علموه.

الشيخ الأذرمي: فهل دعوا إليه الناس كما دعوتهم أنت أو سكتوا.

ابن أبي دؤاد: بل سكتوا.

الشيخ الأذرمي: فهلا وسعك ما وسعهم من السكوت.

فسكت ابن أبي دؤاد وأعجب الواثق كلامه وأمر بإطلاق سبيله، وقام الواثق من مجلسه وهو يردد (هلا وسعك ما وسعهم)، يكرر هذه الكلمة؛ وهي من أسباب خُمود الفتنة[٢].

يلاحظ أن مناظرة الشيخ الأذرمي هذه قامت على مرحلتين هما:

المرحلة الأولى: العلم، فقد سأل الشيخ الأذرمي القاضي بن أبي دؤاد: هل علم النبي ﷺ وخلفاؤه هذه البدعة، فأقرَّ ابن أبي دؤاد بعلم الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين لها؛ وابن أبي دؤاد ليس أمامه غير هذه الإجابة، فإذا كانوا لا يعلمونها ففي ذلك حجة عليه، وهل يمكن أن يحجب الله عن رسوله

(١) طقوش، تاريخ، ص١٥٣، محمد ماهر، حمادة، الوثائق السياسية، ص٣٨٧؛ Kassasbeh, the office, p.119; Carl Brockelman, p.132؛ شاكر الدولة، ص٢٣١، الهاشمي، الخلافة، ص٣٥٠–٣٥٢، الشكعة الإمام، ص١٦٢، عبد الحسين، المحنة، ص٣٩٨.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص٢٩٩–٣٠٢.

أمراً من الشريعة ويفتحه لابن أبي دؤاد.

المرحلة الثانية: إن كان الرسول ﷺ قد علم هذه المقولة فهل أمكنه أن يدعو الناس إليها أم لم يمكنه؟ فكانت إجابة ابن أبي دؤاد أن الرسول ﷺ علمها، ولكنه سكت عنها، ولم يدعو الناس إليها.

فكان رد الشيخ الأذرمي على القاضي بن أبي دؤاد أنه قال له: سكت عنه الرسول ﷺ فلمَ لا تسكت عنه أنت؟.

كما أنه أشار صراحة إلى أن الواثق قد تاب عن القول بخلق القرآن (وأوشك أن يكتب بذلك كتاباً)[1] وهناك إشارات وردت في المصادر حول الموضوع ذاته بأن الواثق رجع عن الاعتزال بعد تلك المناظرة ولم يمتحن بعد ذلك أحداً[2].

وقد أورد السبكي (ت٧٧١هـ) خبراً يفيد أنه دخل على الواثق رجل يُدعى عُبادة وقال يا أمير المؤمنين: أعظم الله أجرك في القرآن، فقال الواثق: ويلك القرآن يموت؟ قال يا أمير المؤمنين كل مخلوق يموت، بالله يا أمير المؤمنين من يصلي بالناس التراويح إذا مات القرآن؟

فضحك الخليفة وقال: قاتلك الله أمسك[3].

ولكن المصادر لم تشر صراحة إلى أن الواثق أبطل الاعتزال، ويبدو أن السبب في عدم تصريح الخليفة الواثق بإبطال مذهب الاعتزال هو أن رجال الإدارة في عهده كانوا سبب ذلك.

وقد عُرف الخليفة المتوكل بأنه هو الذي أبطل مذهب المعتزلة وأحيا

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص١٦.
(٢) ابن منظور، مختصر، ج٢٧، ص٤٥.
(٣) ألسبكي، طبقات، ج٢، ص٦٠.

مذهب أهل السنة والجماعة[1]. قال الديار بكري (ت٩٦٦هـ/١٥٥٩م): "الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التجهم"[2].

حيث أوضح المسعودي موقف الخليفة المتوكل من المعتزلة في قوله "لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدال والترك لما عليه الناس في أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة"[3].

وفي سنة ٢٣٧هت/٨٥١م أمر الخليفة المتوكل بإنزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي فأنزلت وضم رأسه إلى جسده، فدفن يوم عيد الفطر من تلك السنة، واستدعى الإمام أحمد بن حنبل وقربه إليه وأكرمه[4].

أباطيل المعتزلة والرد عليها:

موقفهم من الحديث والمحدثين: هاجم المعتزلة الحديث النبوي الشريف وكذبوا المحدثين الذين رووا أحاديث لا توافق هواهم، وخاصة الأحاديث التي تؤكد رؤية المؤمنين الله عز وجل يوم القيامة، وأحاديث الصفات والقدر ومن هذه الأحاديث التي رفضوا الأخذ بها ما رواه البخاري، أن رسول الله ﷺ قال:"إنكم سترون ربكم عيانا"[5].

إنكار المعتزلة الشفاعة: أنكر المعتزلة شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من المسلمين يوم القيامة، حيث ذكر الأشعري أن المقصود بهذه الشفاعة:"أن

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٨٤؛ الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٢١٨؛ الذهبي، دول، ج٢، ص١٠٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص٢٥١؛ العلي، سامراء، ص٢٤–٢٥.
(٢) الديار بكري (ت٩٦٦هـ/١٥٥٩م)، تاريخ الخميس.
(٣) المسعودي، مروج، ج٢، ص٣٩١.
(٤) ابن الجوزي، مناقب، ص٣٥٨.
(٥) صحيح البخاري، ٧٤٣٦، ج١٧، ص١٩٩٦.

النبي يشفع عند الله عز وجل في أن يزيد المؤمنين من فضله لا في أن يدخلهم جناته"[١]، وبهذا الموقف يكون المعتزلة قد أنكروا أمرا ثبت في السنة النبوية الصحيحة، حيث قال الرسول ﷺ: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"[٢].

إنكار المعتزلة عذاب القبر: وفي هذا يذكر القاضي عبد الجبار "أن الميت حين يدفن لا يسمع ولا يبصر ولا يدرك فكيف يجوز عليه المسألة والمعاقبة بعد الموت، وأنكر مشايخنا عذاب القبر في كل حاله"[٣] وهذا مخالف صراحة لما ثبت في السنة النبوية حيث عقد الإمام البخاري بابا في كتاب الجنائز ترجم له بالقول: باب ما جاء في عذاب القبر[٤].

موقفهم من الجنة والنار: لقد وصل مروق وانحراف بعض رجالات المعتزلة كأبي الهذيل العلاف إلى حد القول بفناء نعيم أهل الجنة وفناء عذاب أهل النار.وقد رد علماء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالقول:"قامت الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة على أن النار لا تفنى وعلى تخليد الكافرين في النار وأنهم لا يخرجون منها....أما الجنة فيتمتع من دخلها متاعا حقيقيا حسيا وروحيا ويحيون فيها حياة أبدية فلا فناء ولا خروج منها ولا انقطاع لنعيمها بالنصوص القطعية وإجماع أهل العلم والإيمان[٥].

قال تعالى: ﴿ إِلا بَلاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴾[٦].

(١) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج٢، ص١٦٦.
(٢) صحيح مسلم، ج١، ص١٩٥، صحيح البخاري ج٣، ص٤٧٣.
(٣) فضل الاعتزال، ص٢٠٢.
(٤) صحيح البخاري، ج٣، ص٤٧٣.
(٥) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع الشيخ احمد الدرويش، ١٤٢١، ج٣، ص٣٥٤.
(٦) سورة الجن، اية٢٣.

قال تعالى: ﴿ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[1].

الطعن في الخلفاء و الصحابة:

موقفهم من خلفاء المسلمين:

تعرض المعتزلة للخلفاء الراشدين، فقال بعضهم إن الخلافة بد وفاة الرسول ﷺ كانت لعلي رضي الله عنه وإن الأمة ضلت حين بايعت غيره[2]. وقد قال بعضهم إن أحد الفريقين المتخاصمين في موقعة الجمل فاسق لا محالة[3].

وقد علق واصل بن عطاء على مقتل عثمان بقوله إنه لا يعرف: هل كان عثمان مخطئاً أم قاتلوه[4]. وقال بعضهم عن أبي هريرة إنه كان:"اكذب الناس"[5]، ومن الأقوال التي نسبت إلى واصل بن عطاء أنه قال:"لو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة والزبير على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم"[6].

اتهم بعض رجال المعتزلة الصحابة بإيثار الهوى على الدين ووقوع الفاحشة فيهم[7] مخالفين بذلك المنهج الحق منهج السنة والجماعة الذين يجمعون على عدالة الصحابة.

وأن الطعن فيهم هو آية من آيات الزندقة والخروج على الإسلام[8].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة:صحابة رسول الله ﷺ خير هذه الأمة وقد أثنى الله عليهم في كتابه[9].

(١) سورة الحجر، اية٤٨.
(٢) الأشعري،مقالات، ج٢، ص١٤٣.
(٣) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص٢٠.
(٤) البغدادي،الفرق، ص٩٩.
(٥) المصدر السابق، ص١٣٣.
(٦) الشهرستاني،الملل، ص٦٥.
(٧) الشهرستاني،الملل والنحل، ج١، ص٦٥.
(٨) الخطيب البغدادي،الكفاية في علم الرواية، ص٧.
(٩) فتاوى اللجنة الدائمة، ج٣، ص٢٨٦.

قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: " لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحد ولا نصفه"[2].

موقف أهل السنة والجماعة من المعتزلة:

لقد رفض أئمة الفقه الإسلامي علم الكلام رفضا قاطعا فذهب الإمام الشافعي والإمام مالك والإمام احمد وسفيان الثوري رحمهم الله وجميع أهل الحديث من السلف الصالح إلى حد تحريم الاشتغال بهذا العلم والنفور منه[3]، وينسب إلى الإمام الشافعي رحمه الله قوله: " لأن يلقى الله عبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام"[4].

ويروى عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يكفر المنكرين لأسماء الله وصفاته، لأن أقوالهم مناقضة لما جاء به الرسول ﷺ بشكل ظاهر بين[5]، وقال القاضي أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة عن المعتزلة:"هم الزنادقة"[6].وروي عن عبدا لله بن المبارك أنه قال: " إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية "[7]. وقد تصدى ابن حزم الأندلسي رحمه الله لأباطيل المعتزلة وألف كتابا للرد على زندقتهم أسماه

(١) سورة التوبة، اية ١٠٠.
(٢) البخاري، رقم ٣٦٧٣.
(٣) ينظر الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص٩٥.
(٤) طاش كبري زادة، مفتاح السعادة، ج٢، ص١٥٦.
(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٧، ص٦١٨.
(٦) البغدادي، الفرق، ص٣٥١.
(٧) الدار مي، الرد على الجهمية، ص٨.

"الفصل في الملل والأهواء والنحل"، اعتبر فيه أن الشيطان قد تلاعب بعقول المعتزلة وقال: فاعجب لتلاعب إبليس بهذه الفرقة الملعونة وسلوا الله العافية في أن يكلكم إلى أنفسكم "[1]، أما الأشعري فقد وصفهم بأنهم الزائغون عن الحق[2]، وعرفهم البغدادي بأنهم هم "المعتزلة عن الحق"[3].

التكفير في فكر المعتزلة: رأى المعتزلة ضرورة اغتيال المخالفين لهم في الرأي، حيث قالوا:"إذا كنا جماعة وكان الغالب عندنا أنا نكفي مخالفينا عقدنا للإمام، ونهضنا فقتلنا السلطان وأزلناه وأخذنا الناس بالانقياد لقولنا، فإن دخلوا في قولنا الذي هو التوحيد وهو قولنا في القدر وإلا قتلناهم"[4] وقد خالفوا بذلك منهج أهل السنة والجماعة في العلاقة بالحاكم حيث يقول أبو العثماني الصابوني إن أهل الحديث من السنة والجماعة يرون: "الصلوات خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا، ويرون الدعاء لهم بالتوفيق والصلاح ولا يرون الخروج عليهم، وان رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف"[5].

وعزز هذا الرأي الإمام الطحاوي بقوله: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة "[6] ووصل الأمر عند الإمام النووي إلى اعتبار الخروج على الحكام المسلمين "حراماً بإجماع المسلمين وان كانوا فسقةً ظالمين"[7] واشترط ابن

(١) ابن حزم، الفصل، ج٤، ص١٥٢.
(٢) الأشعري، الإبانة، ص١٣.
(٣) البغدادي، الفرق، ص٩٣، ٩٩.
(٤) ينظر الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج٢، ص١٥٧.
(٥) الإمام أبو عثمان الصابوني (ت٤٩٩هـ)، عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص١٠٦.
(٦) الإمام الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية، ج٢، ص٥٤٠.
(٧) الإمام النووي، شرح مسلم، ج١٢، ص٢٢٩.

حجر للخروج على الحاكم "إن يقع من السلطان الكفر الصريح"[1].

كما وجه المعتزلة تهما إلى الفقهاء والمحدثين في دينهم ورموهم بالجهل والكفر والتخشع لغير الله[2]، حيث قال الجاحظ عنهم "وليس هؤلاء ممن يفهم تأويل الأحاديث"[3] وبناء على هذا التصور فقد عانى العلماء من اضطهاد المعتزلة فتعرضوا للتعذيب والقتل والسجن وغير ذلك من صنوف العذاب كما يتضح ذلك في هذا البحث.

تأثر المعتزلة بالخوارج:

لبيان تأثر المعتزلة بفكر الخوارج لابد للباحث من العودة قليلا إلى عقيدة الخوارج الذين اعتبروا أنفسهم الممثلين الحقيقيين للأمة الإسلامية واعتبروا أنفسهم أهل العدل في تطبيق قواعد الإسلام ومبادئه[4]، وقد اعتمد الخوارج على القرآن الكريم وتركوا السنة النبوية الشريفة ففهموا القرآن وأولوه حسب أهوائهم، وأجمعوا على أن من لم يعتقد معتقدهم يكفر ويباح دمه وماله وأهله[5].

وقد رفض الخوارج الاعتراف بشرعية الخلفاء، فمنذ ظهورهم رفضوا الاعتراف بأية خلافة لا تقوم على مبدأ الشورى، وكان رأيهم أن الإمام يجب أن يختار من قبل الأمة اختيارا لا إكراه فيه ليس لاعتبار الأصل أو القبيلة أو الجنس، وللأمة حق عزل الإمام إذا أخل بشروط العقد بينه وبين الجماعة، وظل الخوارج مخلصين لأفكارهم هذه فكانوا يثورون كلما سنحت لهم

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١٣، ص٧.
(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٦٣٢.
(٣) الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص٢٧٩.
(٤) فاروق عمر، التاريخ الإسلامي، ص٣٧.
(٥) نيل الاوطار ج٧، ص٣٠٤.

الفرصة في العهد الأموي والعباسي[1].

وقد ضمن المعتزلة أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أصولهم بغية الخروج على الحاكم وقتاله[2]. ولكنهم اشترطوا للخروج على السلطان التأكد من القدرة على قتله، كما أنهم قالوا بضرورة اغتيال المخالفين لهم في الرأي كما أوضحنا أعلاه عند الرد على أباطيل المعتزلة.

سقوط المعتزلة وأسبابه التاريخية:

ولما جاء الخليفة المتوكل قام بإجراءات في إطار مناهضته مذهب المعتزلة، فوطد قواعد مذهب أهل السنة والجماعة[3] ففي سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م أصدر المتوكل مرسوما أعلن فيه انتهاء المحنة[4] وفرض حظرا على المناقشة بشأن طبيعة القرآن الكريم من حيث كونه مخلوقا أو غير مخلوق ،وقد أوضح المسعودي موقف الخليفة المتوكل من المعتزلة بالقول "لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة والجدال فيما عليه الناس في أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ والمحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة[5] وبذلك أكد المتوكل على مذهب السنة والجماعة مذهباً رسمياً للدولة ، وتبرأ مما كان عليه أسلافه ، وكتب" أن الذمة قد برئت ممن يقول بخلق القرآن "[6] بل وأمر بحبس كل من يقول في علم الكلام [7] ،كما أمر المحدثين بمهاجمة الجهمية والمعتزلة، وأمرهم بإحياء شعائر عديدة كانت

(١) فتحي الشواورة، سياسة الخليفة المهدي الداخلية، ص١٣٧، فتحي الشواورة، خلافة الواثق بالله، ص٣٦.

(٢) الإمام القاضي علي بن أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، ج٢، ص٧٩٣.

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ،ص٤٨٧،الذهبي ، دول الإسلام ،ج٢،ص١٠٩.

(٤) اليعقوبي ، تاريخ، ص٣٤١.

(٥) المسعودي ،مروج ،ج٢، ص٣٩١.

(٦) المطهر المقدسي ،البدء والتاريخ ،ج٥، ص١٢١.

(٧) ابن كثير ،البداية ،ج١٠، ص٦٧٨.

معروفة منذ زمن الرسول ﷺ، وحثهم على دراسة الحديث النبوي الشريف في سبيل إنعاش مذهب السنة والجماعة. **وعلاوة على ما سبق وفي إطار إجراءات الخليفة المتوكل في إسقاط مذهب الاعتزال اتخذ مجموعة من التدابير تمثلت فيما يلي:**

١- إطلاق سراح المساجين من الذين رفضوا مذهب الاعتزال وأكرمهم وخلع عليهم الكسوة[١] فقد أمر سنة ٢٣٧هـ بتنظيف سجن أخيه الواثق ممن حبسهم في خلق القرآن في كافة الأمصار.

٢- أمر بإنزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي الذي كان الواثق قد فصل رأسه عن جسده فصلب الرأس في بغداد والجسد في سامراء ، أمر المتوكل بأن يجمع الرأس والجسد فدفن يوم عيد الفطر سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م[٢] وقد تجلت سياسة المتوكل المعادية للاعتزال في التشييع الرسمي الذي أمر به لأحمد بن نصر الخزاعي ،حيث أحيا ذكره بعد ست سنوات من مقتله وأمر بدفنه في احتفال مهيب[٣].

استدعى الإمام أحمد بن حنبل من بغداد إلى سامراء مقر الخليفة وقربه إليه وأكرمه ، ولكن الإمام أحمد استأذن الخليفة المتوكل في الرجوع إلى بغداد وآثر الابتعاد عن السلطان[٤] رافضا هدايا الخليفة الذي خلع عليه من ملابسه الخاصة ، ورفض أن يأكل من طعام السلطان عندما دعاه المتوكل إلى مائدته[٥] وأرسل إليه الخليفة طبيبه الخاص يوحنا بن ماسويه[٦]. وقد أصبح لأحمد بن حنبل رحمه الله مكانة كبيرة عند

(١) اليعقوبي ،تاريخ ، ص٤٨٤.
(٢) ابن كثير ،ج١٠،ص٦٧٩.
(٣) ابن الجوزي مناقب الإمام احمد، ص٣٥٨.
(٤) المقدسي ،البدء ،ج٥،ص١٢١.
(٥) ابن كثير ،البداية ،ج١٠،ص٦٧٩.
(٦) ابن خلكان ،وفيات ،ج١،ص٦٣.

الخليفة، وكان ذلك يعني انتصار المحدثين الذين يمثلون أهل السنة والجماعة، ومن الجدير ذكره أن ذلك النصر قد كافح الفقهاء والمحدثين وعلى رأسهم أحمد بن حنبل وأحمد بن نصر الخزاعي من أجله كثيراً، وبذلوا في سبيله المهج والأرواح. ويمكن القول أن مذهب أهل السنة والجماعة الذي وضع أسسه الخليفة أبو جعفر المنصور لم يكن واضح المعالم في بداية العصر العباسي على اعتبار أن التمسك بالسنة النبوية ضرورة من ضرورات الشرع، فكان الخلفاء الأوائل فوق الميول المذهبي ونظروا إلى الخارجين عن هذا الخط على أنهم جماعات مناوئة لها مطالب لا تخرج عن الإطار السياسي. مع ذلك فقد ادعى المنصور أن العباسيين جاؤوا لإحياء السنة النبوية واتباع كتاب الله في الحكم وأكد على أنه سيحكم الرعية بكتاب الله وسنة رسوله. وكانت دوافع الخليفة أبي جعفر المنصور دينية سياسية في مواجهة الحركات العلوية في عهده كحركة محمد النفس الزكية، حيث حاول المنصور إقامة الدليل على أن بني العباس أحق الناس بالسلطة الدينية والدنيوية على اعتبار أن العباس بن عبد المطلب هو عم الرسول ﷺ وأن بني العباس هم الوارثون وحدهم للرسول، والعم له الأحقية على بني الابنة في الإرث حسب الشريعة الإسلامية وقد أثيرت هذه المناقشات في المراسلات المتبادلة بين الخليفة المنصور ومحمد النفس الزكية[1]، وأكد العباسيون أحقيتهم في الخلافة وحاججوا العلويين: وأنه إذا كان العلويون يسعون إلى الخلافة بسبب القربى فإن العباس رضي الله عنه أقرب قريب إلى الرسول الكريم ﷺ وليس عليا، وإذا كان الأمر بالقرابة فإن في أهل بيت

(١) ينظر الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٦٦.

الرسول الكريم ﷺ من هو أقرب من علي رضي الله عنه، وإن كان الحق بقرابة فاطمة رضي الله عنها فإنه يكون للحسن والحسين رضي الله عنهما وليس لعلي في هذا الأمر وهما حيان، وإذا كان الأمر على ذلك فإن عليا قد ابتزهما جميعا واستولى على ما لا يجب له[1]. وخلاصة القول أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور أراد أن يقاوم أفكار العلويين وثوراتهم بالتأكيد على إحياء منهج سنة الرسول ﷺ، بحكم أن بني العباس هم القرابة الأقربون من غيرهم حتى العلويين، وتعلق إحدى الدراسات الحديثة على موقف الإمام أحمد بن حنبل بالقول: إن الإمام أحمد كان يمثل روح العصر الذي يعيش فيه وإنه أثر في جماهير غفيرة من الناس لصلابته في أثناء المحنة وتشبثه بعقيدته واتزانه وبعده عن السلطان مع أن الخليفة المتوكل حاول أن يغرقه بالهدايا والجوائز[2] وحين مات أحمد بن حنبل شيعته الدولة تشييعا رسمياً[3].

٣- أمر الخليفة المتوكل بالاهتمام بالحديث النبوي ونشر السنة وأمر ألاّ يشتغل احد إلا بالكتاب والسنة[4].

٤- استقدم الشيوخ والمحدثين من كافة الأمصار إلى سامراء وأجزل لهم العطاء[5] وأمرهم بالتحديث والرد على الجهمية والمعتزلة وأن يحدثوا "بأحاديث الرؤية "[6] أي رؤية الله عز وجل يوم القيامة.

٥- قام الخليفة المتوكل بالتخلص من رموز المعتزلة مثل وزير أخيه الواثق،

(١) الازدي، تاريخ الموصل، ص٣٧٣.
(٢) فوزي، العباسيون، ج٣، ص١٦٨.
(٣) ابن كثير ،البداية ،ج١٠،ص٧٠٢.
(٤) ابن كثير ،البداية ،ج١٠،ص٦٨٧.
(٥) المسعودي ،مروج ،ج٤،ص٨٦،السيوطي ،تاريخ ،ص٤٠٦.
(٦) ابن الجوزي ،المنتظم ،ج١١،ص٢٠٧.

محمد بن عبد الملك الزيات[1] فأمر بالقبض عليه وحبسه مقيدا بخمسة عشر رطلا من الحديد[2] وأمر بتعذيبه بالتنور الذي كان ابن الزيات قد صنعه من الحديد ودق فيه مسامير ليعذب فيه من كان في حبسه من المخالفين له في الاعتزال ، فأدخله المتوكل فيه وأمر بتعذيبه حتى مات[3].

ولا بد من القول في هذا المقام أن العلاقة بين الخليفة المتوكل وابن الزيات كانت سيئة منذ عهد الخليفة الواثق ، لأن ابن الزيات كان يسيء معاملة المتوكل ويهتم بنقل أخباره إلى الواثق من قبل[4].

٦- أمر المتوكل بمراقبة رجالات المعتزلة والتضييق عليهم ومتابعتهم ومطاردتهم والقبض عليهم ،وممن قبض عليه القاضي أحمد بن أبي دؤاد فحبسه مع أولاده وأمر بمصادرة أملاكه وضياعه ،حتى مات سنة٢٤٠هـ[5] والقاضي أحمد كان هو المسؤول المباشر عن محنة الإمام أحمد بن حنبل[6].

٧- استخدام وسائل الدعاية والإعلام المتاحة في ذلك العصر ضد رجالات المعتزلة في الأمصار ،حيث أمر المتوكل والي مصر بأن يحلق لحية قاضيها أبي بكر محمد بن أبي الليث، وأمر بجلده وبأن يطاف به على حمار، وقد علل السيوطي ذلك بأن ابن أبي الليث كان ظالما وأنه "كان من رؤوس الجهمية "[7].

(١) فتحي الشواورة ،خلافة الواثق ،ص٣٦.
(٢) ابن العماد الحنبلي ،شذرات ،ج٢،ص٧٨،ابن العمراني ،الانباء ،ص١١٧.
(٣) الدميري ،حياة ،ج١،ص٧٧.
(٤) ابن الأثير ،الكامل ،ج٦،ص٩٧.
(٥) الخطيب البغدادي ،تاريخ ،ج٢،ص٣٤٢.
(٦) المسعودي ،مروج ،ج٤،ص٩٦.
(٧) السيوطي ،تاريخ ،ص٤٠٦.

٨- أصدر المتوكل مرسوما وزعه في كل أنحاء الدولة العباسية يمنع فيه النقاش في موضوع خلق القرآن ، وهدد من يتكلم في هذا الأمر بالسجن.

لقد تركت سياسة المتوكل الدينية في إنهاء مذهب المعتزلة وإظهار مذهب أهل السنة والجماعة أصداء طيبة عند جمهور العلماء وعامة الناس ،حيث تشير المصادر إلى ذلك بقول بعضهم:

"خلفاء الإسلام ثلاثة أبو بكر يوم الردة وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم والمتوكل على الله في إحياء السنة "[١] ، وقد علق الإمام الذهبي على ما قام به المتوكل بقول بعضهم:

"رفع المحنة بخلق القرآن ، واظهر السنة وأمر بنشر الآثار النبوية ولله الحمد"[٢] وكذلك امتدحه السيوطي وأثنى عليه وعلى ما قام به تجاه إحياء السن[٣].

إن أبرز الأسباب التي أدت إلى سقوط مذهب الاعتزال تكمن فيما يلي:

١- استعمال المعتزلة لأساليب القسر والإجبار في فرض أفكارهم على عامة الناس[٤].

٢- تكفير المعتزلة لمخالفيهم واتهامهم بالكفر والكذب ، ووصهم أهل الحديث بالجهل ،حيث جاء على لسان ثمامة بن أشرس وهو من رجالات المعتزلة البارزين في عهد المأمون ،إذ قال للخليفة: "ما العامة ؟ والله لو وجهت إنسانا على عاتقه سواد ومعه عصى لساق إليك عشرة آلاف منها"[٥] وفي هذا تحقير للعامة واستخفاف بهم وتسفيه ، وذلك يتناقض مع

(١) الديار بكري ،تاريخ الخميس ،ج٢،ص٣٣٨.
(٢) الذهبي ،دول ،ج٢،ص١٠٩.
(٣) السيوطي ،تاريخ ،ص٤٠٨.
(٤) اليعقوبي ،مشاكلة الناس ،ص٣١،النويري ،نهاية الأرب ،ج٢٢،ص٢٧٥.
(٥) ابن قيم الجوزي ،أحكام ،ص١٢-١٣.

تعاليم المعتزلة التي تقضي باحترام عقل الإنسان وحريته.

٣- المبالغة في إقحام الفلسفة الإغريقية القديمة في الإسلام، والإسراف في الاستدلالات العقلية ،في محاولة إعادة صياغة العقيدة ضمن قالب دخيل لا يتطابق مع تعاليم الإسلام في موضوع الأسماء والصفات ،مما جعل عامة الناس غير قادرين على فهمها وجعل فقهاء الإسلام يرفضونها[١].

وملخص القول أن المدقق في وصف الروايات لجنازة أحمد بن نصر الخزاعي ،بعد ست سنوات من مقتله عندما أمر المتوكل بالجمع بين رأسه وجثته رحمه الله ، والتي خرج فيها خلق كثير من أهل بغداد يدرك مدى الكره الذي كان يكنه العامة لمذهب الاعتزال. ولذلك جاءت إجراءات الخليفة المتوكل هذه تجاه المعتزلة بسبب معارضة عامة الناس لمنهج الاعتزال، الذي خلق الفتن والاضطرابات للدولة العباسية في عهود من سبقوه من الخلفاء.

فتوجه إلى مذهب العامة الذي عجز المأمون والمعتصم والواثق على هزيمته، وبقي صلبا مقاوما، وبذلك أبعد المتوكل نفسه عن الإشكالات التي وقع فيها من سبقوه من الخلفاء، وبهذا وضع المتوكل نفسه في قلوب العامة وكان هذا الخيار هو الخيار الأفضل لرجل الدولة والسياسة، فبدلا من أن يضع نفسه في صفوف القلة من النخب المتفلسفة وجد أنه من الأفضل لسلامة دولته أن ينحاز لصفوف العامة وهم الأغلبية ، وقد علق الخطيب البغدادي على ما فعله المتوكل في هذا السياق بقوله "أطفأ نيران الفتنة وأوقد مصابيح السنة"[٢].

(١) احمد أمين ،موسوعة ،ج٢٢،ص١٥٢.

(٢) الخطيب البغدادي ،تاريخ ،ج٧،ص١٧٠.

جدول (١)

أسماء العلماء الذين قاوموا الاعتزال

م	اسم العالم	علمه تخصصه	عصر الخليفة	معلومات عامة
١	أحمد بن حنبل	فقيه ومحدث	الواثق بالله	مُنع من الخروج من داره، ما يشبه بالإقامة الجبرية.
٢	أحمد بن نصر الخزاعي (ت٢٣١هـ)	إمام ومحدث	الواثق بالله	عذبه وقتله وصلبه في بغداد لامتناعه عن القول بخلق القرآن.
٣	إبراهيم بن هاني أبو إسحق النيسابوري (ت٢٦٥هـ)	إمام ومحدث	الواثق بالله	عُذب في عصر الواثق بالله لرفضه القول بخلق القرآن[١].
٤	أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي (ت٢٣٠هـ)	فقيه	الواثق بالله	رفض القول بخلق القرآن وبقي محبوساً طيلة عصر الواثق بالله[٢].
٥	أبو الفضل جعفر بن حرب الهمذاني (ت٢٣٦هـ)	مفسر للقرآن	الواثق بالله	رفض القول بخلق القرآن[٣].
٦	الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف (ت٢٥٠هـ)	فقيه ومحدث	الواثق بالله	سُجن منذ عصر المأمون وبقي في سجنه حتى نهاية عصر الواثق لرفضه القول بخلق القرآن[٤].

(١) الذهبي، طبقات الحفاظ، ج١، ص٩٧.
(٢) انظر أعلاه، ص، الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١٤، ص٣٠٠.
(٣) الذهبي، سير، ج١٠، ص٥٤٩.
(٤) المصدر نفسه، ج١٢، ص٥٤.

م	اسم العالم	علمه تخصصه	عصر الخليفة	معلومات عامة
٧	بكار بن الحسن بن عثمان بن زياد (ت٢٣٨هـ)	فقيه	الواثق بالله	امتحنه الواثق وسجنه لرفضه القول بخلق القرآن[١].
٨	محمد بن الحارث بن شداد (ت٢٤١هـ)	فقيه	الواثق بالله	امتحن في خلق القرآن وسجن في عصر الواثق بالله[٢].
٩	عبد الله محمد الأذرمي	فقيه	الواثق بالله	سُجن في عصر الواثق ولكنه ناظر ابن أبي دؤاد ، وهزمه فأطلق الواثق سراحه[٣].

(١) أبو الشيخ الأنصاري، طبقات المحدثين، ج٢ ، ص١٣١.
(٢) المصدر السابق، ج١ ، ص٣٨.
(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص٧٤–٧٩.

الخاتمة والنتائج

تحرت هذه الدراسة الكشف عن سياسة المعتزلة الداخلية تجاه عامة الناس حتى طبقة العلماء من الفقهاء والمحدثين عندما اعتنق ثلاثة من خلفاء العصر العباسي الأول مذهب المعتزلة (المأمون والمعتصم والواثق) وكيف تعاملوا مع فئة العلماء وموظفي الجهاز الإداري في الدولة، وقد توصل الباحث إلى النتائج التالية:

١- إذا كانت عناصر الحدث التاريخي ثلاثة عناصر هي:الزمان والمكان والشخوص، فإن التاريخ لا يمكن أن يعيد نفسه؛ لأن الناس يموتون ويذهب زمانهم، ولا يمكن أن نعيد التاريخ إلى الماضي الحاضر، وان بقي المكان، ولكن الأحداث التاريخية تتشابه، ولهذا أصبح لزاما علينا دراسة التاريخ لنأخذ المواعظ والعبر والفوائد ونضع القوانين، وما أشبه الحاضر بالماضي، ففي الوقت الذي أفرط فيه الخوارج في تكفير الناس بالمعصية، وأفرط المعتزلة في إخراج صاحب الكبيرة من دائرة الإيمان، أفرط التكفيريون في زماننا هذا بتكفير الناس بالمعاصي.

٢- لقد أخفى المعتزلة تحت أصولهم الخمسة، أهدافاً خبيثة بينها البحث في موضعها، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ستروا تحته مبررات الخروج على ولي الأمر، فشابهوا الخوارج في هذا المنهج.

٣- بين البحث أن سوء التفكير يؤدي إلى التكفير، فلما تلاعب الشيطان بعقول المعتزلة كما بين ابن حزم الأندلسي، كفروا المخالفين لهم من العلماء كأحمد بن نصر الخزاعي، واتهموا الصحابة والمحدثين بالجهل والضلال، وعليه يمكن التأسيس على أن كل من تعد كالحق وتجاوز

حده إلى غير الهدى فهو من أهل الغلو، وغلو المعتزلة في قولهم إن فاعل الكبيرة بمنزلة بين المنزلتين، وقابل هذا التشدد تساهل من المرجئة حين قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب، والوسط في المنهج الحق مذهب أهل السنة والجماعة.

٤- ظهر غلو المعتزلة في الاستدلالات العقلية، وظهر غلوهم في العقل، عندما بحثوا في الأسماء والصفات فأدى بهم بحثهم إلى التمثيل والتعطيل، وخالفوا منهج أهل السنة والجماعة الذين أثبتوا ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسول الله ﷺ.

٥- بين البحث أن علماء السنة والجماعة من المحدثين كأحمد بن حنبل انتهجوا نهج المقاومة السلمية عندما تعرضوا للاضطهاد والتنكيل من المعتزلة.

٦- اظهر مذهب المعتزلة ضعفه الشديد وعدم قدرته على الصمود عندما تخلت السلطة السياسية عنه، فكان سريع السقوط وتهاوى بسرعة عندما أعاد المتوكل إحياء منهج المحدثين، في حين أظهر الفقهاء قوة كبيرة في الثبات على الحق، مع ما عانوه من الاضطهاد والتنكيل.

٧- أظهرت المحنة فشل المعتزلة، ونتج عن ذلك أن حصل علماء الحديث على مكانة عالية، وتأثير كبير، وبعبارة أخرى حقق مذهب السنة والجماعة – الذي كان فيه العلماء مصدر السلطة الدينية – نصرا كبيراً.

٨- اظهر فشل المحنة أن مذهب السنة والجماعة كان أشد قوة وتغلغلا في الناس في العصر العباسي الأول، وازداد الناس في ذلك العصر اتباعاً للسنة النبوية وتمسكا بالحق، وأصبح المذهب السني أقوي من المذاهب المبتدعة كالخوارج والمعتزلة والشيعة.

٩- أثبت البحث أن مذهب الاعتزال لو نجح لتحولت الخلافة إلى نظام يلعب

في العقيدة لعب أباطرة بيزنطة في الديانة المسيحية.

وفي نهاية هذا البحث لا يدعي الباحث استيفاء بحثه لكل أطراف الموضوع، ولكنها محاولة وجهد مقل، وفي المنتهى أردد قول الله لرسوله في تبصير عباده حين قال: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً ﴾ [1].

وجزاكم الله خيرا وجعلكم حراسا للعقيدة وحماة للإسلام، وحصنا لثقافة الأمة.

وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الإسراء: آية ٥٣.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- ٢٣الازدي. تاريخ الموصل، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٢م.
- ابن أبي العز، الإمام القاضي علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق الدكتور عبد الله التركي وشعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، (ت٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (ت٥٧٩هـ/١١٨٣م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا.القاهرة ١٩٨٧م.
- ابن الجوزي، الإمام جمال الدين أبو الفرج. (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م). الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الحرمين، الدوحة ١٩٨٢م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج. (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م). صفة الصفوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط١، القاهرة ١٩٧٩م
- ابن العبري، أبو الفرج غيريغوريوس الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م). تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت (د.ت).
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي. (ت١٠٨٩هـ/١٦٨٦م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط١، دار أحياء التراث العربي.
- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد. (ت٥٨٠هـ). ١٩٧٣م. الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، مطبعة بريل، لندن.

- ابن الوردي، عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، ط١، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦٩م.
- ابن تغري بردي. (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م). النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٨٤م.
- ابن حجر العسقلاني، الإمام الحافظ أحمد، (ت٧٧٣–٨٥٢هـ/١٣٧١–١٤٤٨م) أطراف مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق زهير الناصر، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٣م.
- ابن حنبل، اسحاق، ذكر محنة الإمام أحمد، مطبعة سعدي، القاهرة، ١٩٨٣م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط٦، دار بيت الأفكار، عمان ٢٠٠٦م.
- ابن خلكان، أحمد بن أبي بكر. (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م). المعارف، ط١، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ابن كثير، الحافظ الدمشقي. (ت٧٧٤هـ١٣٧٢م). البداية والنهاية، ط٢، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٩٠م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت٦٣٠هـ)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق روحية النحاس، دار الفكر، دمشق ١٩٩٠م.
- ابن واردان. (عاش سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م). تاريخ العباسيين، ط١، تحقيق منجي الكعبي، الإمارات (د.ت).
- أبو الشيخ الأنصاري، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف (ت٢٧٤–٣٦٩هـ/٨٦١–٩٧٩م) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، تحقيق عبد الغفور البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٨ م.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) المختصر في أخبار البشر،

ط١، المطبعة الحسينية، القاهرة (د.ت)

- أبو يعلى، القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢ م.
- الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، الجامعة الأردنية، عمان ٢٠٠٦ م.
- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٣٠هـ/٩٤١م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط٢، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٩ م.
- الأصبهاني، أبو نعيم. حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٩م.
- الإمام عبد القاهرة بن طاهر بن محمد البغدادي (ت٤٢٩هـ/٨٦٣م) الفرق بين الفرق، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م.
- البكجري، علاء الدين بن عبد الله البكجري (ت٧٦٢هـ/١٣٦٠م) مختصر تاريخ الخلفاء، ط١، دار الفجر، القاهرة ٢٠٠١م.
- التميمي، محمد بن أحمد بن تميم. (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م). كتاب المحن، تحقيق يحي الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م.
- الحنفي، تقي الدين عبد القادر التميمي المصري. (ت١٠٠٥هـ/١٥٩٦م). الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار الرفاعي، الرياض ١٩٨٣م.
- الخطيب البغدادي، الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧م) تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- الدميري، الشيخ كمال الدين الدميري (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق محمد الفاضلي، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت ٢٠٠١م.
- الدميري، الشيخ كمال الدين محمد بن عيسى بن علي الدميري (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، حياة الحيوان الكبرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

- الديار بكري، حسين بن محمد الحسن. (ت٩٦٦هـ/١٥٥٩م). تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، مؤسسة شعبان للنشر، بيروت (د.ت).
- الذهبي الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (ت٧٤٨هـ). دول الإسلام، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩١م.
- الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد. (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م). العبر في خبر من غبر، ط١، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
- الذهبي، الإمام شمس الدين. (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م). تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٥٤م.
- الذهبي، الحافظ شمس الدين. (ت٧٤٦هـ/١٣٤٥م). كتاب دول الإسلام، ط١، دار المعارف النظامية، حيدر آباد.
- السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، (ت٧٢٧–٧٧١هـ/١٣٢٦–١٣٦٩م) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، (د.ت).
- السيوطي، الإمام الحافظ جلال الدين (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٢م.
- السيوطي، جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) طبقات الحفاظ، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٩٤م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) الملل والنحل، دار صادر، بيروت، (د.ت)
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، ط٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٥ م.
- عبد الملك المكي، بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي (ت١١١١هـ) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ط١، تحقيق عادل أحمد عبد

الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨ م.

- القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ/١٠٢٤م)، شرح الأصول الخمسة، ط١، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٥٦م.
- القرماني، أحمد بن يوسف. (ت١٠١٩هـ/١٦١٠م). أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ط١، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعيد، دار عالم الكتاب، بيروت ١٩٩٢م.
- القضاعي، القاضي محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي (ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، تاريخ القضاعي كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق جميل المصري، ط١، مكة المكرمة ١٩٩٥ م.
- القلقشندى، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى، (ت٨٢٠هـ) مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار عالم الكتاب، بيروت، ١٩٨٠ م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. (ت٤٥٠هـ)، نصيحة الملوك، تحقيق محمد جاسم الحديثي، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن. (ت٣٤٦هـ/٩٥٦م) التنبيه والإشراف، ط١، مكتبة هلال، بيروت ١٩٨١م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت (د.ت).
- مسكويه، أبو علي أحمد بن يعقوب. (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م). تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- المقدسي، المطهر بن طاهر. البدء والتاريخ المنسوب لأبي زيد البلخي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت).
- مقديش، محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزوادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨ م.

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)؛ نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، تحقيق محمد جابر عبد العال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤ م.
- وكيع، محمد بن خلف بن حيان. (ت٣٠٦هـ/٩١٨م). أخبار القضاة، عالم الكتاب، بيروت (د.ت).
- اليافعي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد. (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ط١، تحقيق عبد الله الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٧٩.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح. (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م). تاريخ اليعقوبي، ط١، دار صادر، بيروت (د.ت).

ثانيا: المراجع العربية:

- إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٩م.
- ابن حثلين، سلطان بن خالد. الفقهاء والخلفاء، دار عمار للنشر، عمان ٢٠٠٠م.
- أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- أحمد شوقي إبراهيم العمرجي، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية في خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله من سنة ١٩٨–٢٤٧هـ/٨١٣هـ–٨٦١م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ط٤، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٢م.
- أحمد، عبد الحسين علي. موقف الخلفاء العباسيين من أئمة أهل السنة، دار قطري بن الفجاءة، قطر ١٩٨٥م.

- أمين، أحمد. ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- أمين، أحمد. فجر الإسلام. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٦م.
- أمين، أحمد. موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، دار نوبليس، بيروت ٢٠٠٦م
- حسن أحمد محمود وأحمد الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.
- حسن حنفي، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ١٩٨٦ م.
- حسين فلاح الكساسبة، السلطة القضائية في العصر العباسي، ط١، مركز زايد للتراث، الإمارات، ط١، ٢٠٠١م.
- خالد جاسم الجنابي، تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ٢١٨–٣٣٤هـ/ ٨٣٣–٩٤٥م، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٩م.
- ختام محمود القرعان، الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٩٩٢م.
- خير الدين الزر كلي، الإعلام، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م.
- رمزية الأطرقجي، الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الأول، جامعة بغداد ١٩٨٢م.
- زهدي جار الله، المعتزلة، المؤسسة العربية للنشر، بيروت ١٩٩٠ م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٦م.
- السيد عبد العزيز سالم العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٧٧م.
- طلب صبار محل، رسوم دار الخلافة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صلاح الدين ١٩٨٩م.
- عبد الجبار ناجي وآخرون، الدولة العربية في العصر العباسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٣ م.

- عبد الجبار ناجي وآخرون، الدولة العربية في العصر العباسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.
- عبد السلام الترمانيني، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، ط١، طلاسدار، دمشق، ١٩٨٨م.
- عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مكتبة الطليعة، بيروت، ١٩٨٨م.
- العلي، صالح أحمد. سامراء دراسة في النشأة والبنية والسكانية، شركة المطبوعات للنشر، بيروت (د.ت).
- العوا، عادل. المعتزلة والفكر الحر، دار الأهالي للطباعة، دمشق ١٩٨٧م.
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ احمد الدويش، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٢هـ.
- فتحي يوسف الشواورة، تاريخ الدولة العباسية السياسي والحضاري، دار النشر الدولي، الرياض، ٢٠١١م.
- فتحي يوسف الشواورة، خلافة الواثق بالله، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٨م.
- فتحي يوسف الشواورة، سياسة الخليفة المهدي الداخلية، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة مؤتة ١٩٩٩
- فهمي جدعان، المحنة بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٩م.
- فوزي، فاروق عمر. التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، دار اقرأ، بيروت ١٩٨٥م.
- فوزي، فاروق عمر. الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، دار الشروق، عمان، ١٩٩٨م.
- فوزي، فاروق عمر. العباسيون الأوائل، دار مجدلاوي للنشر، عمان ٢٠٠٣ م.
- محمد عمارة، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ط١، المؤسسة العربية

للنشر، بيروت ١٩٧٢ م.

- نعمان ثابت، العسكرية في عهد العباسيين، مراجعة حامد أحمد الورد، بغداد، ١٩٨٦م.
- الهاشمي، عبد المنعم. الخلافة العباسية، دار ابن حزم، بيروت ٢٠٠٣م.
- هناء أحمد محمود الضمور، الحياة العلمية والثقافية في سامراء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، ٢٠٠١م.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

- Brockelman, Carl. History of the Islamic peoples, London, 1984.
- EI^2, Mihna
- Fawsi, Farowq Omar. (2001). Studies on the history of sects in medieval Islam, Al Albayt University, Jordan.
- Fawzi, Farouk Omar. Aspect from Abbasid history, Amman, 2003.
- Sanders, J. A history of Medieval Islam, London, 1982
- Kasassbeh, Hussein F. The office of qadi in the early Abbasid caliphate (132–247/750–861), Amman, 1994.
- Marshall, O. S Hodgson. The venture of Islam, Chicago press, 1982.
- Masudul Hasan, History of Islam, London, 1994.
- Patton, W. M. Ahmad bin Hanbal and the Mihna, Leiden, 1897.
- The Cambridge Encyclopedia of the middle east, London, 1992